الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي -الأغواط-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

تقديم الطالبة: بومعزة نجاة

ميدان: اللّغة والأدب العربي

شعبة: دراسات أدبية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

عتبة العنوان و علاماته الدّلاليّة

- مقاربة سيميائيّة في رواية موسم الهجرة إلى الشّمال -

أعضاء لجنة المناقشة:

أعضاء اللّجنة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
حفاصي سليم	أستاذ مساعد أ	رئيسا
بن السايح الأخضر	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
جوادي مسعود	أستاذ محاضر ب	مناقشا

الدفعة 2018-2019

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء و إمام المرسلين أما بعد أتقدم بإهداء بحثي المتواضع هذا إلى :

إلى من في حضنها الأمان ...و في صدرها الحنان ... و في قلبها الحب و الإيمان ، يا من تحت قدميها الجنان ... يا أول اسم تنطق به شفتاي ... أمي الغالية أدامها الله و أطال في عمرها .

إلى من كلّله الله بالهيبة و الوقار ...و علمني العطاء دون انتظار...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى والدي "مداني." أبقاه الله تاجاً فوق رأسي .

إلى من صار شريكاً لي في الحياة و عوناً لي حتى الممات زوجي الغالي " أحمد قرينات "

إلى ملاكي الصغيرة ، ابنتي الغالية " ميار قطر الندى "

و إلى والدي الثاني "الحاج بلعلمي"تغمده الله برحمته و أسكنه فسيح جنانه و أمي الثانية "فاطنة ."

إلى عمي الحاج "ح رز الله" الذي كان مصدر دعم لي طيلة مشواري الدّراسي و جميع أفراد عائلته وإلى عمّاتي و أخوالي و خالاتي.

إلى من جمعني بهم دم واحد وقلب واحد وبيت واحد إلى إخوتي الأعزاء

و إلى كلّ عائلة بومعزة صغيراً و كبيراً .

و إلى عائلتي الثانية " عائلة قرينات "من صغيرها إلى كبيرها و على رأسها " الحاج محمد " تغمده الله برحمته و أسكنه فسيح جنانه و الحاجة فاطمة أطال الله في عمرها .

وإلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم ، إلى من صاغوا لنا من علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنّجاح إلى أساتذتنا الكرام من المدرسة الإبتدائية إلى الجامعية .

وإلى كل من له مكان في قلبي و نسيّه قلمي . وفي الأخير نسأل الله تعالى أن يجمعنا جميعاً في جنانه العليا .

شكر و تقدير

في البداية ، ينبغي قبل شكر العباد أن أستهلّ شكري بشكر رب العباد الذي إذا شكرته زادني ، و الذي سبق إحسانه و عمّت أنعامه الحمد لله الذي رزقني هذا من غير حول مني ولا قوة ، حمداً طيبا مباركا فيه و له الشكر على نعمة العلم و توفيقي في انجاز هذه المذكرة، و صلي اللهم على نبيك و حبيبك المصطفى عليه أفضل الصلوات و أزكى التسليم .

"ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل صالحًا ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين "

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى

أمّا بعد :

فما كان لهذه المذكرة أن تخرج إلى النور لولا التوجيه السديد والرعاية الفائقة من الأستاذ الدكتور " بن السايح الأخضر حيث كان لملاحظاته القيمة الأثر الكبير في إظهارها إلى العلن .

و يستوجب علي كذلك أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان و التقدير إلى أساتذتي الأفاضل ، أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي ، جزاهم الله عنا كل خير .

و لا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر ، و التقدير إلى كل من دعمني و ساعدني على إتمام هذا العمل المتواضع .

مقدمة

إنّ النّص الأدبي أنواع ، فهناك النّص الرّئيس ، و النّ ص المحيط ، و النّص الفوقي فالنّص الرّئيس هو الذي يتعلّق بالنّص الإبداعي الذي يوجد بين دفتي الكتاب ويتّسم بخاصيات دلاليّة وفنيّة و وظيفية ويرتبط بلحظة الإبداع ، في حين يتعلق النّص المحيط بالعتبات التي تحيط بالنص وتسيّجه وتجاوره مثل العنوان ، الإهداء ، المقدمة ، المقتبس ، وحيثيات النّشر ، وكلمات الغلاف و الأيقون و الغلاف ... في حين يتعلق النّص الفوقي بالقراءت النّقدية والتعليقات والشّهادات والرّسائل والحوارات والمذكرات.

والعتبات مهمّة في مجال تحليل النّص الأدبي ، لأنّها تسعف الباحث ، أو النّاقد ، أو المحلّل في فهم النّص الأدبي وتفسيره وتأويله ، أو تفكيكه و تركيبه،و العتبات هي التي تمهّد لنا الطريق وتمدّنا بمفاتيح تحليل الخطاب جزئياً أو كلياً، لذا لابد من الاهتمام بها تنظيراً وتطبيقاً في أبحاثنا ودراساتنا ، وللعتبات أنواع كثيرة من بينها : اسم الكتاب عتبة العنوان ، المؤشر الجنسي ، كلمة النّاشر الإهداءت ، تصدير الكتاب الاستهلال ... إلخ . والتي جاءت مفصّلة في كتاب عتبات (جيرار جينيت من النّص إلى المناص) لعبد الحق بالعابد.

إذاً هناك أنواع كثيرة للعتبات ، من بينها عتبة العنوان ،" حيث يعدّ العنوان من أهم العتبات النّصيّة الموازيّة المحيطة بالنّص الرّئيس ، حيث يساهم في توضيح دلالات النّص و استكشاف معانيه الظاهرة و الخفيّة إن فهماً و إن تفسيراً ، و إن تفكيكاً و إن تركيباً . و من ثمة ، فالعنوان هو المفتاح الضّروري لسبر أغوار النّص ، و التّعمّق في شعابه التّائهة ،و السّفر في دهاليزه الممتدّة. كما أنّه الأداة التي بها يتحقّق اتّساق النّص و انسجامه ، و بها تبرز مقروئية النّص ، و تنكشف مقاصده المباشرة و غير المباشرة . و بالتالي فالنّص هو العنوان ، و العنوان هو النّص ، و بينهما علاقات جدليّة و انعكاسيّة ، أو علاقات تعيينيّة أو إيحائيّة ،أو علاقات كليّة أو جزئيّة .. . إذاً و كما أسلفنا عتبة العنوان من بين أهم العتبات النّ صيّة و هي التي وقع عليها اختياري في بحثي هذا و الموسوم ب: **عتبة العنوان و علاماته الدّ لاليّة – مقاربة سيميائية في رواية موسم الهجرة إلى الشّمال –** و ذلك بهدف إزالة الغموض ، و محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية :

كيف جسّ د الرّوائي الطّيب صالح ثنائيّة الشّرق و الغرب في روايته من خلال عتبة العنوان و كيف كانت نظرة كلّ منهما إلى الآخر ، و ما المغزى ال ذي قصده من هذه الرّواية ، و هل جاء عنوانها مطابقاً لمضمونها يا ترى ؟

و من بين الأسباب التي دفعت بي للبحث في هذا الموضوع أنّه اقتراح من الأستاذ المشرف، و الرغبة في دراسة هذا الموضوع التي كانت تعتبر أهم حافز ، إعجابي بجرأة الرّوائي الطيب صالح في الكشف عن أسرار و أغوار العلاقة بين الشّرق و الغرب ، أي الشّمال والجنوب في هذه الرواية ، الكشف عن أسباب الجدل القائم بينهما ، أي الشّرق و الغرب في الأعمال الرّوائيّة العربيّة ،استعراض جدليّة الأنا و الآخر ضمن علاقتها الإيجابيّة و السّلبيّة ونجد بأنّ هذه الرّواية **"موسم الهجرة إلى الشمال"** من أكثر الأعمال تمثيلاً لهذه الثّنائية (الأنا و الآخر) .حيث أنّها تتناول بعمق جدليّة العلاقات بين الكيانات الحضاريّة المتباينة المختلفة ممثلة بصورة خياليّة ورمزيّة في شخصيّة الشّاب السّوداني.

أما عن المنهج المتبع فطبيعة البحث تقتضي أن يكون المنهج السّيميائي هو المنهج المتبع لأنّ هـ أكثر ملاءَمَةً في التّعامل مع الخطاب السّردي ،كما اعتمدت على المنهج البنيوي و ذلك من خلال تحليل بعض شخصيات الرّواية و توضيح أبعادها .

أمّا عن بنية البحث فقد قسّمتها إلى فصلين يتقدّمهما مدخل نظري و مقدّمة مذيّلة بخاتمة و ملحق يشتمل على الغلاف الخارجي للرّواية بواجهتيه الأماميّة و الخلفيّة و ملخص للبحث ثم قائمة للمصادر و المراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هذا و فهرس الموضوعات .

ففي المدخل تناولت فيه تعريف العنوان لغةً و اصطلاحاً و الاهتمام بالعنوان وظائفه و أهمّيته في الأعمال الرّوائيّة و بعده مباشرة يأتي.

الفصل الأوّل و الموسوم ب:الغلاف الرّوائي /إشاراته الجماليّة و حمولاته الدّلاليّة ، و جاء فيه ما يلي :

1 الصّورة الفوتوغرافية و ازدواجيّة الرّؤية .

2 الفسيفساء و شذرات الماضي .

3 التّشكيل اللّوني .

4 اللّعب بالصّورة.

5 جدليّة الأحمر و الأسود .

6 الغلاف الخلفي بين الدّعاية و المكاشفة .

الفصل الثّاني و المعنون ب: عتبات العنوان في الدّلالات :جاء يتحدّث عمّا يحمله عنوان الرّواية من دلالات و إيحاءات . و جاء فيه ما يلي:

1 التّشكيل اللّغوي .

2 شعريّة العنوان و مقتضيات السّرد .

3 الشّخصيّة الرّوائيّة و جدليّة العلاقة مع العنوان .

4 رحلة العبور إلى الآخر .

5 رحلة العودة .

ثم خاتمة و هي خلاصة مجموعة النّتائج المتحصّل عليها من خلال البحث .

و قد اعتمدت في بحثي المتواضع هذا على مجموعة من المصادر و المراجع كانت عوناً لي و نوراً يُضيء دربي و يثري زادي المعرفي و من أهمها :

1 سيميوطيقا العنوان لجميل حمداوي .

2 عتبات جيرار جينيت من النّص إلى المناص لعبد الحق بالعابد .

3 الطّيب صالح ... سيرة و شهادات من محطات العمر لخالد محمد غازي ، و غيرها من المراجع

و كالمعتاد في انجاز البحوث الأكاديميّة تعرّضت لمجموعة من الصّعوبات من بينها : صعوبة الإلمام بجزئيات الموضوع لقلّة الخبرة وكذا صعوبة الدّراسة التّطبيقيّة على الرّواية إلاّ أنّني سعيت جاهدة بفضل من المولى عزّ و جل من أجل إتمام هذا البحث و إخراجه على ما هو عليه .

و في الأخير لا يسعني إلّا أن أحمد الله حمداً كثيراً بما يليق بجلاله على توفيقه لي ، و أتقدّم بفائق الشّكر و التّقدير و الاحترام لأستاذي الفاضل **" الدّكتور بن السّايح الأخضر "** المشرف على توجيهي ، و تقديم نصائحه القيّمة لإنجاز هذا العمل المتواضع ، فشكراً جزيلاً على دعمه ، و أرجو أن يلقى بحثي هذا القبول و التّقدير.

مدخل نظري

" يقول المثل المغربي : " **أخبار الدّ ار على باب الدّار** " ولا يمكن للباب أن يكون بدون عتبة ، تسلّمنا العتبة إلى البيت ، لأنّه بدون اجتيازها لا يمكننا دخول البيت .

لكنّ الأبواب مختلفة و أحيانًا عديدة مخاتلة ، و لا يمكنها في كلّ الأحوال أن تعطينا فكرة دقيقة عن " أخبار " الدّار . قد تكون الدّار فخمة واسعة ، دالّة على التّرف و الجاه، لكنّ الباب متواضع و عتبته بسيطة لا تختلف عن باقي الأبواب و العتبات في الزنقة . لكنّنا لا نجد في الدّار باباً واحداً، و بالتّالي عتبة واحدة . أنّنا عندما نعبُر الباب و العتبة الخارجيين ، نلقي أنفسنا أمام أبواب و عتبات تتعدّد بتعدّد المرافق و الفضاءات " 1. ما أكثر العتبات ، و ما أصعب اقتحام أي فضاء دون اجتياز العتبة، وللعتبات أنواع كثيرة من بينها : اسم الكتاب، عتبة العنوان ، المؤشر الجنسي ، كلمة النّاشر ، الإهداءات تصدير الكتاب ، الاستهلال ... إلخ . والتي جاءت مفصلة في كتاب عتبات (جيرار جينيت من النّص إلى المناص) لعبد الحق بالعابد. وبما أن موضوع بحثنا هو عتبة العنوان وعلامات الدّلاليّة نقتصر البحث على العنوان أي عنوان العمل الروائي لرواية "موسم الهجرة إلى الشمال". حيث يعدّ العنوان العتبة الأولى التي يتمّ من خلالها التّواصل مع القارئ ، وهو دعوة مباشرة إلى القيام بفعل القراءة ، ومن ثمة فعل التأويل ، ويمكن عدّ العنوان مؤشراً على البنية المعرفيّة العامة للنّص، وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النّص وتسميه وتميّزه عن غيره، وهو كذلك مع العناصر المجاورة والمحيطة بالنّص الرئيس إلى جانب الحواشي والهوامش والمقدمات والمقتبسات و الأدلة الأيقونية .

و من خلال هذا التّ قديم نطرح التّساؤل التالي : ما هو العنوان ووظائفه و أهميّته يا ترى؟.

---

1 ينظر : عبد الحق بالعابد ، العتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) ،تقديم : د. سعيد يقطين ، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم –ناشرون – الجزائر ، ط (01)، 2008 ، ص13.

1 تعريف العنوان

أ – لغةً : ترجع كلمة "العنوان" في لسان العرب ، إلى مادتين مختلفتين "عَنَنَ " و "عَنأَ " وفي حين تذهب المادة الأولى – عَنَنَ – إلى معاني "الظهور" و "الإعتراض" .

والمادة الثانية –عَنَّا – تحيل إلى معاني "القصد" و "الإرادة" وكلا المادتان تشتركان في دلالتهما على" المعني" كما تشتركان أيضا في" الوسم" و"الأثر" .

أولا :"**عَنَن**" عَنَّ الشّيءُ يَعِنّ و يَعُنُ عَنَنًا وعُنُونًا : ظَهَرَ أَمَامَكَ ، وَعَنَّ يَعِنُّ و يَعُ نُّ عَناً و عُنُواناً واعْتَنَّ : اعْتَرَضَ وعَرَضَ ومنه وقول امرئ القيس :

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ . الِاسْمُ العَنَنُ والعِنَانُ 1.

ثانيا : "**عَنَا**" وَمَعْنَى كُلّ شَيْءٍ : مِنْحَتَهُ وَحَالُهُ التي يَصِيرُ إِلَيْهَا أَمْرُهُ. وَرَوَى الأَزْهَرِي عَنْ أَحْمَدْ ابن يَحْيَ قَالَ : المعْنَى وَالتَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ وَاحِ دٌ.وَ عَنَيْتُ بالقَوْلِ كَذَا: أَرَدْتُ وَ مَعْنَى كُلُّ كَلاَمٍ وَ مَعْنَاتُهُ وَ مُعْنِيَّتُهُ : مَقْصِدُهُ 2. وستطرد ابن منظور من " المعنى " إلى " العنوان " من مادة "عَنَا" فيقول : قال ابن سيدة : العُنْوَانُ و العِنْوَانُ سِمَةُ الكِتَابِ وَعَنْوَنَهُ عَنْوَنَةً وَعِنْوَاناً ، وَعَنَاهُ كِلاَهُمَا وَسَمَةُ الكِتَابُ 3.

ب – اصطلاحاً: العنوان عبارة عن كتلة مطبوعة على صفحة العنوان الحاملة لمصاحبات أخرى مثل: اسم الكاتب أو دار النشر... والمهم في العنوان هو سؤال الكيفية، أي كيف يمكننا قراءته كنص قابل للتحليل و التأويل4.

---

1 ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله الكبير –محمد أمجد حسب الله– هشام محمد الشّاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا ومذيلة بفهارس مفصلة 1119 هـ ، المجلد : 4 ، ص 3139 .

2 نفسه ،ص 3147

3 نفسه ، ص 3147

4 عبد الحق بالعابد ، العتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص ، ص 67

ويعرف الدّكتور جميل حمداوي العنوان فيقول : "فالعنوان هو عتبة النّص وبدايته ، وإشارته الأولى . وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النص ، وتسميه و تميزه عن غيره .والعنوان هو عبارة عن علامات لسانية وسيميولوجية غالبا ما تكون في بداية النص ، لها وظيفة تعيينية و مدلولية و وظيفة تأشيرية أثناء تلقي النص ، والتلذذ به و تفاعلاً تفاعلاً .1

2 الاهتمام بالعنوان :

لقد أهمل العنوان كثيرا من قبل الدارسين العرب والغربيين على حد سواء ، قديما وحديثا ، لأنهم اعتبروا العنوان عنصراً هامشيا لا قيمة له، وملفوظا لغويا لا يقدم شيئا إلى تحليل النص الأدبي .لذلك تجاوزوه إلى النّص ،كما تجاوزوا باقي العتبات الأخرى التي تحيط بالنّص . وليس العنوان الذي يتقدم النص ويفتتح مسيرة نموه، يقول علي جعفر العلاق : " هو مجرد اسم يدل على العمل الأدبي : يحدد هويته ، يكرس انتماءه لأدب ما . لقد صار أبعد من ذلك بكثير و أوضحت علاقته بالنص بالغة التقيد .إنه مدخل إلى عمارة النّص ، وإضاءة بارعة وغامضة لأبهائه وممراته المتشابكة (...) لقد أخذ العنوان يتمرد على إهماله فترات طويلة ، وينهض ثانية من رماده الذي حجبه عن فاعليته وإقصاءه إلى ليل من النسيان ولم يلتفت إلى وظيفة العنوان إلا مؤخرا " 2
."وعلى الرغم من هذا الإهمال ، فقد التفت إليه البعض الدارسين في الثقافيين :
العربية و الأجنبية ، قديما وحديثا ،و تنبّ هـ إليه الباحثون في مجال السيموطيقا وعلم السرد والمنطق ، وأشاروا إلى مضمونه الإجمالي في الأدب والسينما والإشهار نظراً لوظائفه اللغوية ، المرجعية ، والتأثيرية ، الأيقونية وحرصوا على تمييزه في دراسات معمقة بشرت بعلم جديد ذي استقلالية تامة ،

---

1 جميل حمداوي ، صورة العنوان في الرواية العربية ، مجلة الكلمة ، مجلة أدبية فكرية شهرية ، العراق ، السنة الأولى ، العدد2 ،فبراير 2007

2 علي جعفر العلاق ، (شعرية الرواية) ، علامات في النقد ، المجلد6 الجزء 23 ، 1997 ، ص 100 ، 101 .

ألا وهو **علم العنوان** (**TITROLOGIE**) الذي ساهم في صياغته وتأسيسه باحثون غربيون معاصرون هم : **جيرارجينيت** (**G.GENETTE**) و **هنري متران** (**H.METTRAND**)**لوسيان كولدمان** (L.GOLDMANN) و **شارل كريفل** (**CH.GRIVEL**) و **روجر روفر** (**ROGERROFER**) و **ليوهويك** (**LEOHOEK**) الذي عرف العنوان بكونه مجموعة من الدلائل اللسانية (...) يمكنها أن تثبيت في بداية النص من أجل تعيينه ، ولإشارة إلى مضمونه الإجمالي ، ومن أجل جذب الجمهور المقصود 1 .وقد نادى **لوسيان كولدمان** الدارسين والباحثين الغربيين إلى الاهتمام بالعتبات بصفة عامة والعنوان بصفة خاصة .وأكد في قراءته السوسيولوجية للرواية الفرنسية الجديدة مدى قلة النقاد الذين تعرضوا إلى مسألة بسيطة مثل العنوان في رواية (**الرائي Levoyeur**) الذي يشير- مع ذلك بوضوح- إلى مضمون الكتاب ليتفحصوه بما يستحق من عناية 2. " وتعتبر دراسة العتبات (**SEUILS**) **لجيرارجنيت** (**GERARD.GENETTE**) أهم دراسة علمية ممنهجة في مقاربة العتبات بصفة عامة ، والعنوان بصفة خاصة ، لأنها تسترشد بعلم السرد والمقاربة النصية في شكل أسئلة ومسائل ، وتفرض عنده نوعا من التحليل " 3. ويبقى **ليوهويك**(**LEOHOEK**) المؤسس الفعلي لعلم العنوان ، لأنه قام بدراسة العنونة من منظور مفتوح ، يستند إلى العمق المنهجي ، والاطلاع الكبير على اللسانيات ، واستيعاب نتائج السيميوطيق ، الاستفادة من تاريخ الكتاب والكتابة – فقد رصد العنونة رصدا سيميوطيقيا ، بالتركيز على بنائها ، ودلالاتها وظائفها4.

---

1 جميل حمداوي ، سيميوطيق العنوان ص 31.

2 A.Regarder leo HOEK : lamarque du titre , ed _ M outon 1982

3 A.Regarder seuils , COLLECTION SEUILS , PARIS ,1987 G Genette

4 جميل حمداوي، المرجع السابق ، ص 31.

هذا بالنسبة لما جاء عند الباحثين الغرب أما عند العرب فإن النقد الروائي العربي لم يولِّ العنوان أهمية تذكر بل ظل يمر عليه مرور الكرام ، والآن ، بدأ الاهتمام بعتبات النص ، وصار يندرج "ضمن سياق نظري وتحليلي عام ، يعتني بإبراز ما للعتبات من وظيفة في فهم خصوصية النص ، وتحديد جانب أساسي من مقاصد الدلالية ، و هو اهتمام أضحى في الوقت الراهن مصدراً لصياغة أسئلة دقيقة ، تعيد الاعتبار لهذه المحافل النصية المتنوعة الاتساق وقوفا عندما يميزها ، ويعين طرائق اشتغالها " [1] ." ومن أهم الدراسات العربية التي انصبت على دراسة العنوان تعريفاً وتأريخاً وتحليلًا وتصنيفاً ما أنجزه الباحثون المغاربة الذين كانوا سباقين إلى تعريف القارئ العربي بكيفية الاشتغال على العنوان تنظيراً وتطبيقاً ومن بين هؤلاء الباحثين

1- شعيب حليفي: (النص الموازي في الرواية إستراتيجية العنوان) .

2- جميل حمداوي : (مقاربة العنوان في الشعر العربي الحديث والمعاصر) .

3- جمال بوطيب : (العنوان في الرواية المغربية) .

4- عبد الفتاح الحجمري : (عتبات النص : البنية والدلالة)

5- جميل حمداوي : (السيميوطيقا والعنونة)

6- جميل حمداوي : (مقاربة النص الموازي في روايات .بن سالم حميش)

7- جميل حمداوي : (صورة العنوان في الرواية العربية)

8- عبد المالك أشهبون : (العنوان في الرواية العربية)[2].

---

1 إدريس الناقوري ، لعبة النسيان –دراسة تحليلية نقدية ، الدار العالمية للكتاب ، الدار البيضاء- ط (1) ، 1995 ، ص 24.

2 ينظر جميل حمداوي ، سيميوطيقا العنوان ص 32 – 33.

3 وظائف العنوان :

أ– الوظيفة التّعنينية : (F.de désignation)

وهي الوظيفة التعيينية التي تعين اسم الكاتب وتعرف به للقرّاء بكل دقة وبأقل ما يمكن من احتمالات البس ويستعمل بعض المشغلين على العنوان تسميات أخرى ذكرها **"جوزيب كامبروبي** " وهي الوظيفة الاستدعائية الوظيفة التسموية ، والوظيفة التمييزية ، الوظيفة المرجعية . إلا أن الوظيفة التي تبقى هي الوظيفة التعيينية والتعريفية فهي الوظيفة الوحيدة الإلزامية والضرورية ، إلا أنها لا تنفصل عن باقي الوظائف لأنها دائمة الحضور ومحيطة بالمعني1.

ب – الوظيفة الوصفية : (F.des criptive)

وهي الوظيفة التي يقول العنوان عن طريقها شيئا عن النص ، وهي الوظيفة المسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان ، وهي نفسمها (الوظيفة الموضوعاتية ، والخبرية والمختلطة) ، وغير أنه لا بد أن يراعي في تحديدها الوجهة الاختيارية للمرسل(المعنون) ، أو الملاحظات التي يأتي بها في الوصف الحتمي ، وأمام التأويلات المقدمة من المرسل إليه (المعنون له) الحاضر دائما كفرضية لمحفزات المرسل (المعنون) أو الكاتب عامة ، وهذه الوظيفة لا منأى عنها .وللوظيفة الوصفية عدة تسميات من بينها : الوظيفة التخليصية ، الدلالية ، اللغوية الواصفة2 .

---

1 ينظر : عبد الحق بالعابد ، العتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) ، ص86 .

2 ينظر :المرجع السابق، ص 87

ج- الوظيفة الإيحائية (F.connotative)

الوظيفة الإيحائية هي أشد ارتبطاً بالوظيفة الوصفية ، أراد الكاتب هـ ذا أم لم يرد ، فلا يستطيع التخلي عنها ،فهي ككل ملفوظ لها طريقتها في الوجود ، ولنقل أسلوبها الخاص إلا أنها ليست دائما قصدية، ولهذا يمكننا الحديث عن قيمة إيحائية لا عن وظيفة إيحائية1.

د- الوظيفة الاغرائية :(F.séductive)

يكون العنوان مناسبا لما يغري جاذبا قارئه المفترض ، وينجح لما بناسب نصه،محدثا بذلك تشويقا وانتظارًا لدى القارئ ويرى **جيرار جينيت** بأن هذه الوظيفة مشكوك في نجاعتها عن باقي الوظائف ، وهي في حضورها وغيابها تستقل بأفضليتها عن الوظيفة الثالثة (الإيحائية) دون الثانية (الوصفية) : ففي حضورها يمكنها أن تظهر إيجابيها أو سلبيتها أو حتى عدميتها بحسب مستقبليها الذين لا تتطابق قناعاتهم وأفكارهم دائما مع أفكار (المرسل / المعنون) الذي يريد المرسل إليه (المعنون له) حملهم عليه2.

4 أهمية العنوان في الأعمال الروائيّة :

"العنوان هو تلخيص للنص ، من حيث الوقائع والأحداث ، في إطار الفضاء الروائي بل هو النص ، ومن ثمة تغدو العلاقة بين العنوان والنص علاقة جدلية ؛العنوان يوحي إلى النص ، والنص يتمم ويكمل العنوان وهو يعمل على ضبط مختصر للرواية في العمق ، وهو كذلك بؤرة النص وتيمته الكبرى"3.

1ينظر :المرجع السابق ، ص 87

2 ينظر :المرجع السابق ، ص88

3 ينظر : الحاج بن علي ، تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية ، بحث لنيل درجة الماجستير ، إشراف ، أ.د عبد القادر شرشار ، جامعة وهران ، 2009 ،2010 ص 16

"فالعنوان من هذه الوجهة يعتبر خطابا أو نصا مستقلا في حد ذاته وما تلاه عبارة عن شرح وتوضيح له ولذلك فالروائي لا يضع عنوانه اعتباطيا ، بل يريد من روائه جملة من الدّلالات والرّموز التي تساهم في بناء معمارية النص صياغة وتركيبا .إن سلطة عنوان العمل الروائي عموماً تنبع من مركزيته بمعنى ارتباطه دلاليا بكافة جوانب الأبنية السردية ومستوياتها وهذا من شأنه أن يعطي للعنوان قيمة الجوهرية وجعل منه أساسا في عملية التلقي ، كما يجعل منه بوابة لازمة للوجوج إلى العالم السردي" [1] . وهو "المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص وتسهيل مأمورية الدّخول في أغواره وتشعباته الوعرة"[2].

---

1 ينظر : نفسه ، ص 16.

2 جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، عالم الفكر ، الكويت ، العدد /23 ، يناير ، مارس ، ص90

الفصل الأول : الغلاف الرّوائي / إشاراته الجمالية و حمولاته الدّلالية

1 الصّورة الفوتوغرافية و ازدواجية الرؤية

2 الفسيفساء و شذرات الماضي

3 التّشكيل اللّوني

4 اللّعب بالصّورة

5 جدلية الأحمر و الأسود

6 الغلاف الخلفي بين الدّعاية و المكاشفة

تعتبر علاقة الكاتب مع غلاف عمله الروائي علاقة قائمة على الحركية "تحكمها رغبات مكبوتة تعتمل في الداخل بالقوة ، تتفجر عند خروجها على هيئة السّطور و الخطوط والأرقام والمساحات البيضاء والصور وتتغير مواضعها وأركانها " 1 وذلك وفقاً للحالة التي يكون فيها الكاتب ونصّه الرّوائي على الورقة . وتظهر هذه الحالة بتزيين الغلاف بمجموعة من الألوان وهذه الألوان تشبه مساحيق التّجميل ،أي أنّها ألوان تزيينيّة لغلاف العمل الروائي ، وتوشيح وجهه الخارجي بمجموعة من اللوحات الفنية حيث اتجه الروائيون إلى اللّعب بالوسائل اللّغوية وغير اللّغوية رغبة في خلق أفق جمالي جديد حيث "أصبحت فيه الصّفحة الملعب الذي يمارس على أرضه المبدعون مهارتهم ويشكلون طاقاتهم وقدراتهم " 2. حيث تعتبر كل صور أغلفة الرّوايات عامة ، والرّوايات المختارة صورًا ثابتة ، وهي تشتمل على الصّورة الفوتوغرافية التي تطابق الأصل مطابقة تامة، وصور الرسم القائم على إبداع لوحات تعبر عن إدراك جديد للعالم ، بحيث تعيد إنتاجه من جديد وتحوله من " عالم صامت إلى عالم حي ، بالإضافة إلى أشكال النحت التي تجاور الكتلة الصلدة الصّماء" 3.

وتعرّف اللّوحة الفنية بأنها " مساحة مسطحة رسمت فيها يد الفنان أشياء ، أخذها من الواقع وصاغها صياغة جديدة وضمّنها خطوطاً، وأشكالًا، وسكب فيها روحاً وعواطف وألوان وأدرج فيها أفكار وأهداف وهذا ما يطلق عليه فن ، من خلال صياغة الأشكال من طرف الفنان آخذا مفرداته من محيطة ، ولكلّ فنان رؤيته ومنهجه"4.

---

1 عبد الناصر هلال ، الالتفات البصري من النص إلى الخطاب ، نادي الجوف الأدبي الثقافي ، الأردن ، ط(1) ، 2014 ، ص 220.

2 نفسه ، ص 115.

3 عادل الفريحات ، النقد الأدبي والصورة الفنية البصرية ، ضمن كتاب ثقافة الصورة في الأدب والنقد ، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر دار مجدلاوي عمان ، الأردن ط (1) ، 2008 ، ص 135 .

4 عبيدة صبطي : نجيب بخوش ، الدلالة والمعنى في الصورة ،دار الخلدونية، الجزائر ، ط (1) ، 2009 ، ص 78 .

ومنه فإن "النّص والصورة يتجادلان ، يتجاذبان يشتبكان في حركة مستمرة تجعل القارئ يقوم بعملية الاستبدال القرائي فيواجه نصا أكثر حركة وانفتاحًا وعمقًا حيث سمح الاستخدام الكثيف للصورة / الأيقونة بإظهارٍ جادٍ للأسلوب متحركًا ومصورًا تعبيرًا له استقلاليته بالرغم من ارتباطه في ذهن المتلقي بمفهوم أو أكثر" 1 . إن القارئ أو التلقي لا يمكن أن يستوعب عملاً جديداً ما لم يتمثله في صورته الكلية الطباعية أو التشكيلية الصورية البصرية ، حيث "يُظهر التشكيل البصري بنية أساسية من مبنى الخطاب الروائي الحديث ، ودالاً ثريًا يوجه فعل التلقي استنادًا إلى أدوات مفهومية ، تمكن من دراسة شكل العلاقات ليس بوصفها معطى ثابتًا ، بل يوصفها صيغًا متحولة تنظم، وتشتغل على نحو يسهم في إنتاج الدلالة"2.

1 الصورة الفوتوغرافية وإزدواجية الرؤية :

تطل علينا رواية **"موسم الهجرة إلى الشمال"** وكأنها قطعة أثرية نادرة ، خرجت من شعاب التاريخ وبدّدت الشّك باليقين حول بقاء الرؤيا وزال المعنى ."والرؤيا هي القدرة على الكشف والخلق والإبداع وإزالة ما حجبته عنّا الألفة والعادة ، ومن هنا تحررت اللغة من معجمها وتجاوزت المعنى المقيد بقيود الكلمة وما توحي به وتشير إليه إلى دلالة متحررة مفتوحة الأفق ومتجاوزة للمكان والزمان والمناسبة هذه الرؤيا هي التي ساهمت في نسج علاقات دلالية غير مألوفة ، لأن حركية المعرفة هي تساؤل وتجاوز وكشف وتنوير ، كما ساهمت هذه الرؤيا في خلق صورة سردية لها كيانها المكثف للطاقة الدّلالية والجمالية ، كما أسست أيضًا لبنية روائية مفتوحة ومتحولة ، لا تقبل قراءة واحدة بل هي مزوّدة بدلالات احتمالية مضاعفة"3.

نعود إلى عنوان الرّواية **" موسم الهجرة إلى الشمال"** حيث نلاحظ أن هناك معنًا مبطن من وراء هذا العنوان لأنّه قبل أن تكون هناك هجرة إلى الشّمال ، كان هناك استقرار في الجنوب ، وبالاستقرار في الجنوب كانت هناك هجرة إلى الشّمال .

---

1 عبد الناصر هلال ، الالتفاف البصري من النص إلى الخطاب ، ص144.

2 نفسه ، ص 115.

3 الأخضر بن السايح ،"من المعنى الرؤيا" في الخطاب السردي المعاصر ، جامعة الأغواط ، مجلة الأثر ، ضمن أشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات و الرواية المنعقد بتاريخ 22-23 فيفري 2012.

والرواية من أولها إلى آخرها تتكلم عن الشّمال والجنوب والصّراع القائم بينهما ، حيث أن الشّمال يمثل شاطئ التّقدم والحداثة والرقي ويمثل الحرّية والأمل والاستقرار ... الخ ، بينما الجنوب يمثل شاطئ التّخلف والجمود والتّحجر والفقر والمجاعة وانعدام الأمل ... الخ .

إذن كما يلاحظ هنا من خلال عنوان الرواية أنّ هناك صراع و اصطدام بين الشّمال والجنوب بين حضارة التّمدن والرقي التي يمثلها عالم الشّمال ، وبين حضارة التّخلف والجمود والتي يمثلها عالم الجنوب. ويقول "الطيب صالح" عن هذا الصّراع : "الصّراع ما بين الشّمال والجنوب ما يزال مستمراً و إن تغيرت أشكاله فالتحدي الآن هو بين الجنوب المتخلّف تكنولوجيا والشّمال المتقدّم هو تحدٍ اقتصادي وثقافي وإعلامي ..وبين الاثنين فجوة كبيرة تصل إلى المئات السّنين وهي تحوّل الجنوب إلى السوق استهلاكية لا إرادة لها ولا وعي ..والجنوب مطالب بشروط عديدة لخلق توازن في هذا الصّراع الأبدي، منها أحداث مؤسسات ديمقراطية حقيقية تديره ، ووضع مشاريع تنموية لا بد أن يلتزم هذا القرار الذي يهدف إلى تحقيق تنمية اقتصادية ويبتعد عن القرار السّياسي الذي يكون خاطئًا في أغلب الأحيان .. والصّراع بين الشّمال والجنوب ليس على مستوى الدول إنما على مستوى الأشخاص ، فهو يبرز وجود عقلين مختلفين في كل شيء ، الجنوبي الرومانسي الذي يفتقد الثّقة بالنّفس ، والشّمالي العقلاني المعتمد بنفسه والصريح جدًا والعلاقة بين الرجل والمرأة تكشف أبعاد هاتين العقليتين" 1.

ومن خلال قراءتنا لرواية نجد بأن الشّخصية الرئيسية وهي شخصية مصطفى سعيد انطلق من الجنوب واتّجه إلى الشّمال ولكنه اصطدم بظروف معينة جعلته يعود إلى الجنوب ومات ميتةً غامضة . ونلاحظ أن كاتب الرواية الطيب صالح في قضية الصّراع الموجود بين الجنوب وبين الشّمال على أن الراوي وصل إلى نقطة الوسط فلا هو بالشّمال وصل ، بمعنى أنه حتى و إن وصل إلى الشّمال فهو لا يستطيع أن يكون أوروبيًا وإن عاد إلى الجنوب فإنه لا يستطيع أن يكون مثل الجد أحمد الذي لم يعرف أوروبا مطلقًا، أي أنه أصيب بعدوى حضارتين مختلفتين فبقي في نقطة الوسط .

---

1 خالد محمد غازي ، الطيب صالح ..سيرة وشهادات من محطات العمر، دار الكتب المصرية ، الجيزة ، القاهرة ،2015 ، ص 33 .

وفي هذا الشّأن يضيف الطيب صالح أي الصّراع بين الشّمال والجنوب ويقول : "لو رجعت (**موسم الهجرة إلى الشمال**) وهي " رواية قضية" بمعنى ما ..وليست رواية أفكار نجدها تطرح مسألة الصّلة بالغرب على نحو شديد من الالتباس ،يبدو في لحظات من الرواية وكأنّ هذه العلاقة حدها الوحيد هو الصّراع الدموي.. إذ راجعنا سيرة (مصطفى سعيد في لندن نجد أن إغواء مصطفى سعيد للغربيين والغربيات إغواءٌ لا يرتوي إلا بالقتل ..فثمة شهوة حتى الموت ، ثم هناك عودة هذا الرجل وانطواؤه على نفسه بحيث يبدو هذا كله وكأنه إشعار أو أساس دعوة انبعاثية للعودة إلى الذّات..." 1. وإن يكن هذا – لحسن الحظ – ليس قطعيًا غلى الإطلاق ، فوجود مصطفى سعيد واختفاؤه وغيابه يترك الأمر مفتوحا على عدد كبير من الاحتمالات ، هل القصة تحمل معنى من معاني فلسفيّة قوميّة ... أو محاولة لفلسفة قوميّة .. خاصة أن هذا الأمر في ذاك الوقت كان شاغلا للمثقفين العرب2.

نرجع إلى الصورة الفوتوغرافية للرّواية ، حيث أن اختيارها ليس اختيارا اعتباطيا ، أي أنّه ليس مجرد لعبة جمالية مجّانية إن الأمر يتعلق بأداة تشكيل ذهني .حيث نلاحظ أن صورة الرّواية تتكوّن من مجموعة من الألوان ، فيها ألوان باهتة و ألوان أخرى زاهيّة مثيرة للانتباه وهي ألوان متداخلة فيما بينها وهذا التّداخل ينتج عنه ما يسمى بازدواجيّة الرؤية. الألوان الباهتة نجدها في اللون الأسود ، الرّمادي الدّاكن ، البنّي وهي ألوان تشير إلى التّيه و الضّياع ، وتنعدم فيها الرؤيا وفيها ضبابية ، وهي تشير إلى عالم الجنوب المتخلّف والمجتمعات العربيّة التي تنعدم فيها الرؤيا المستقبلية للحياة ، والإنسان فيها يعيش من دون هدى ودون تخطيط مستقبلي يمشي عليه ودون إستراتيجية ومنظور . أما الألوان الزّاهية نجدها في اللون البنفسجي ،الأحمر، الأزرق،الأخضر،البرتقالي ، وهذه الأوان تشير إلى الحب والأمل والسّلام وتشير إلى التّقدم والرقي والتحضّر وهي تمثل العالم المتطوّر والمتحضّر .

---

1 المرجع السابق ، صص 33 – 34

2 نفسه ص34.

ونلاحظ أنه بين تداخل هذه الألوان فيما بينها تتكون لدينا صورة شخص ، لونه لون ضبابي لا نلمس إلا خياله وهو هذا الإنسان العربي الذي يخطو ، ويتأمل وينظر ولكن هل يستطيع أن يصل إلى ذلك الشيء الذي يريد الوصول إليه . ونلاحظ من خلال الرواية أن الإنسان العربي مازال غير واضح ويعيش في تيه وضياع ، وهو لا يزال ينظر إلى الشّمال على أساس أنه هو التّقدم والتّطور والتّحضر .

تعتبر الصورة الفوتوغرافية أقل نماذج الصور الفنية وجمالية ، ومن ثمة أقلها فعالية في حدود التأويل وذلك "لأنها تستند في آلية تشكيلها الفني إلى مرجعية قضائية ذات وجود فني واقعي يمكن التأكيد من مساحته الزمنية والمكانية على نحو ما" 1. إن الصورة الفوتوغرافية تطرح مبدأ الصرامة نوعا ما في مجال تعبيرها ، وذلك لأنها تطرح مبدأ المطابقة لا المشابهة . وعليه يمكن القول بأن الصورة الفوتوغرافية المثبّتة على غلاف الرّواية تعتبر وسيلة اتّصالية لأنها تسجل الحقائق و تضمن لها الديمومة والاستمراريّة في سياق تداولي عام ، كما أنّها تتميّز بوظيفة إيحائيّة وذلك عبر ازدواجية الرؤية .

2 الفسيفساء وشذرات الماضي:

يتشكل غلاف الرواية "موسم الهجرة إلى الشّمال من لوحة تشكيليّة ، وهي تمثل نصًا بصريًا ، تتضامُ عبره العلامات والألوان المتراكبة ، والصّورة تحيل عن موضوعات قابلة لأن يتعرف القارئ عليها ، فهي بمثابة لغة ثابتة دالة وبشكل كثيف "فهي تلك العلامات التي تستطيع تمثيل موضوعها بواسطة شبهها أو بفضل الخصائص ذاتها التي يمتلكها الموضوع" 2.

---

1 محمد صابر عبيد ، السير الذاتية بين الكتابي والفوتوغرافي ، ضمن كتاب : ثقافة الصورة في الأدب والنقد ، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر ، دار مجدلاوي ، عمان –الأردن– ط(1) ،2008 ، ص281.

2 أمبرتو إيكو ، سميائيات الأنساق البصرية : ترجمة : محمد التهامي العماري ، محمد أودادا ، تقديم و مراجعة : سعيد بنكراد ، دار الحوار سوريا ، ط (1) ، 2008 ، ص 29.

وتظهر الصّورة قطعة فسيفساء ولكنها لا تظهر في نفسها المعروف من زخارف وأدوات متخلقة وبناءات موسيقى وفنون رمزية ، وإنما تتخذ الفنان من وجه إنسان مغيب الملامح ، وهي متكونة من مجموعة من الألوان تتداخل فيما بينها حيث نجد بأنها تنقسم إلى صنفين اثنين وهما :

ألوان زاهية متمثلة في اللّون البنفسجي ، الأحمر،الأزرق، الأخضر، البرتقالي وهي ألوان تشير إلى عالم الشّمال المتقدم ، وألوان أخرى باهتة وهي متمثلة في اللّون ، الأسود ، الرمادي الداكن البني وهي ألوان تشير إلى عالم الجنوب المتخلّف .وهذه الألوان هي التي تمثل المشهد السّردي من أوله إلى آخره ، فيه السواد الذي يشير إلى الحزن والألم ، وهو إشارة إلى معاناة مصطفى سعيد ومن وراءه معاناة الإنسان العربي ، الذي يعاني من الظلم والقهر والجوع والفقر والضياع . وه ي تشير إلى الماضي الذي كان يعيشه مصطفى سعيد في صغره فقد نشأ يتيم الأب ، فقد مات أبوه قبل ولادته ببضعة أشهر ، ولم يلقى حب وحنان الأم في صغره ، وكانت علاقته بها علاقة غير عادية حيث قال مصطفى سعيد عنها: **"حين أرجع الآن بذاكرتي ، أراها بوضوح ، شفتاها الرقيقتان مطبقتان في حزم ، وعلى وجهها شيء مثل القناع .لا أدري . قناع كثيف ، كأن وجهها صفحة بحر ، هل تفهم ؟ ليس له لون واحد بل ألوان متعددة ،تظهر وتغيب وتتمازج .لم يكن لنا أهل. كنا أنا وهي، أهلاً بعضا لبعض ، كانت كأنها شخص غريب جمعتني به الظروف صدفة في الطريق .لعلي كنت مخلوقا غريبا أو لعل أمي كانت غريبة لا أدري .لم نكن نتحدث كثيراً ، وكنت ، ولعلّك تعجب ،أحسن إحساساً دافئًا بأنني ح ر ، بأنه ليس ثمة مخلوق أب وأم، يربطني كالوتر إلى بقعة معينة ومحيط معين "**1. أما عن طفولته فلم تكن عاديّ ة كسائر أطفال جيله ، حيث يقول : **"كنت أقرأ و أنام ، أخرج و أدخل ، ألعب خارج البيت ، أتسكّ ع في الشوارع ، ليس ثمّة أحدٌ يأمرني أو ينهاني .إلاّ أنّني منذ صغري، كنت أحسّ بأنّني ...أنّني مختلف .**

---

1 الطيب صالح ، موسم الهجرة إلى الشمال ، دار الجيل ، بيروت ، (د ط) ، (د ت) ، ص27- 28.

أقصد أنّني لست كبقيّة الأطفال في سنّي ، لا أتأثّر بشيءٍ لا أبكي إذا ضُربت لا أفرح إذا أثنى عليّ المدرّس في الفصل لا أتألّم لما يتألّم له الباقون . كنت مثل شيءٍ مكوّر من المطا ، تلقيه في الماء فلا يبتل ، ترميه على الأرض فيقفز" 1.

والفسيفساء بدلالاتها الإيحائية تمنح لمشاهدها تأشيرة يدخل بها إلى عوالم الرواية المتعددة والتي قد لا يصل أحيانًا من خلالها إلى ما يبتغيه الرسام من معنى حقيقي ، لكنها تقربه من موضوعها العام ، كما تحيلنا تداوليا الفسيفساء المتمازجة مع وجه الإنسان المنعدم الملامح إلى مجموعة الذكريات الكثيرة التي تعالقت مع النص الروائي تعالقا كبيرا . ونلاحظ على غلاف الرّواية وجود تفاحة موجودة في بقعة غامضة سوداء ، والمفروض أن تكون لا فتة الانتباه لكنها وضعت في مكان واضح وضبابي ، لأن قطف التفاحة والوصول إليها مازال هدف بعيد المثال بمعنى أنّه لم يتوفر لدينا الظروف بعد للخروج من هذا المأزق الذي نحن فيه وذلك لأننا نعيش في تيه وضياع.

إنّ صورة الفسيفساء تتعين باعتبارها وسيلة تتوالى في اكتظاظها عبر ضيق إطار الغلاف ، وذلك يُفصح عن شدّة الانفعال الذي يسكن الذّات الكاتبة ، ومن ثمة تتلون وسيلة هذا النط على التوالي برغبة رفع أنموذج الكاتب إلى عين المتلقي في صورة تختلف عما يقدمه العرف والواقع ورغبة لتثبيت ذلك الأنموذج في أعماقه بعد تلخيصه من الشوائب التي علقت به من الواقع إلى درجة التمازج مع المرجع والاختلاف معه في آن واحد.

إذن كما لاحظنا بأن الرواية تتكون من فسيفساء من الألوان المتداخلة فيما بينها وهي تمثل المشهد السردي من أوله إلى آخره .

1الرّواية ، ص 28.

3 التّشكيل اللّوني :

يعتبر اللّون من أهم وأجمل ظواهر الطبيعة ومن أهم العناصر التي تشكل الّصورة الأدبية لما يشتمل عليه من شتّى الدّلالات الفنيّة ، والدينية والنفسية والاجتماعية والرمزية والأسطورية، ويبرز اللّون كعنصر من أهم عناصر التي نهتم بها في حياتنا اليوميّة ، "والأديب يستثمر الألوان لخلق التّوازن والتناسب والوحدة والانسجام التي هي من أهم مباني علم الجمال. بحيث يعتقد بعض كبار الشّعراء أنّه لابد من تدمير الواقع الخارجي لخلق واقعيّة جديدة، ولحصول هذا الغرض لابد من الالتجاء إلى الألوان" 1. كما يلاحظ أن الرّواية تتكون من مجموعة من الألوان وهذه الألوان تنقسم إلى ألوان زاهية وأخرى باهتة

أ الألوان الزاهية :

الأحمر : " اللّون الأحمر دافئ يُستخدم لإثارة الهيجان القويّ وخلق الدّوافع النفسيّة المغريّة ، فهو رمز الحب والغرام والأنيس ،كما أنّه أحيانا يدل على الشّعور بالغضب والحدّة " 2، وجاء أيضًا في كتاب (اللّون لعبة سيميائية لفاتن عبد الجبار) عن اللّون الأحمر: هو لون العواطف الثّائرة والحب الملتهب ، والقوّة والنّشاط ، وهو رمز النّار المشتعلة ، ويُستعمل بعض الأحيان للدّلالة على الغضب والقسوة والخطر وللدّلالة على الحب الجنسي والعنف والثورة" 3.

1ينظر : مرضية أباد –رسول بلاوي ، دلالات الألوان في شعر يحي السّماوي ، إضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الثالثة ،العدد الثامن 2012 ، صص 9-32

2 نفسه صص 9-32

3 فاتن عبد الجبار جواد، اللون لعبة سيميائية (بحث في تشكيل المعنى الشعري ، دار مجدلاوي ، الأردن ، ط (1) ، 2010 ، ص 138.

و يوصف عادة في الجانب النّظري بأنّه " لون النّار والدم ، فهو يسبب الإحساس بالحرارة" 1.حين ارتبط في المعتقد الشّائع برمزية السّلطة ، حيث أنّه أقوى الألوان تأثيرا على الحاسّة الإدراكية البصريّة ، ولذلك فإنّ حضوره يجعله مهيمنًا على بقية الألوان ،حيث تقول عنه نادية خاوية: "الأحمر لونٌ إغرائيٌ -إن صحّ التّعبير- يمارس سلطة كسب الرّهان العاطفي حيث جرى الاعتقاد الشّائع بتلوين عواطفنا باللّون الأحمر"2.

البرتقالي : "اللّون البرتقالي لون ثانوي في قائمة التّقسيم اللّوني ويتشكل من خلال مزج الأحمر والأصفر ، لذا فهو يتّسم بالإشعاع الكثيف ، ويزوّد اللّون الأحمر بوصفه الشّريك المكون الأقوى بشيء من الرصانة ويجعله لوناً مثيراً" 3. ويصف في أحوال صوريّة كثيرة بأنّه " لون التّوهج ، والاحتدام والاشتعال" 4 القادم من مرجعية الحمراء والصّفراء ، لكنّه في مستوى آخر من مستويات استخدامه يوحي بالرّفاهيّة والغبطة ولكن بإمكانه أن يغيظ " 5." وإنّ التّدقيق في عمق اللّون البرتقالي الغريب يخلق إحساسا مؤنساً يحول اللّون إلى حياة تشرف على موتها وهي في الرمق الأخير وتمضي الصّورة في رسم مشهدها الحكائي بدلالة البرتقالي المتحول إلى كيان مشخص يستغيث ، مع حراك بشري من حوله في سياق تشكيلي وسيميائي يوحي بحرارة اللّون وقوة حضوره في تشكيل لعبة المعنى ، استنادا إلى توهج التشكيل وتوهج التدليل معا"6.

1فاتن عبد الجبار ، اللون لعبة سيميائية ، ص 138.

2 نادية خاوية ، الاشتغال السيميولوجي للألوان وأبعاد الظاهراتية ضمن محاضرات الملتقى الثالث ، السيمياء والنص الأدبي ، دار الهدى بسكرة ، الجزائر ، ص348.

3 فاتن عبد الجبار ، المرجع السابق ، ص 161.

4يحي حمودة ،نظرية اللون ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ،ص 135.

5 فارس متري ظاهر ، الضوء واللون ، بحث علمي جمالي ، دار القلم ، بيروت ، (ط1) ، 1989 ، ص 54.

6 فاتن عبد الجبار ، المرجع السابق ، ص 162.

الأزرق : "يعتبر اللّون الأزرق لون الوقار والسّكينة والهدوء و الصّداقة والحكمة والتّفكير ، واللّون الذي يشجع على التّخيل الهادئ والتّأمل الباطني ، ويخفف من حدة ثورة الغضب ويخفف من ضغط الدم ويهدّئ النّفس" 1. وللأزرق دلالات واسعة ومختلفة ، وربما يعود ذلك إلى عدّة أسباب منها تفاوت درجاته من الفاتح إلى القاتم "فالقاتم منه يقترب من اللّون الأسود ؛ لذا فهو يثير النّفور والحقد والكراهيّة وقد ارتبط بالغول والجن والقوي السّلبية في الأرض ، بينما يرتبط الأزرق الفاتح بالماء والسّماء فهو مناسب للهدوء والبرودة وبقيت تدرجات هذا اللّون بين هذين الحدّين"2 .

البنفسجي : "يرمز اللّون البنفسجي بوجه عام الغموض والميوعة والتّردّد في اتخاذ القرارات ويدعوا إلى العاطفة الهادئة الرّقيقة ، و هوّ لون الهدوء ، بحيث يهدئ الجسد ، وهو جيّد للتّأمل والصّلاة وكثرة له يزيد الشّعور بالحزن ، وهو لون الرّوحانيات واحترام الذّات والشّرف" 3.حيث يتحوّل اللّون البنفسجي بحمولته التّشكيليّة والسّيميائية إلى فضاء شعري طاغٍ يحكي دلالته في منظره الطبيعي " المرتبط بحساسية اللّون وطبيعته وخصائصه التّشكيّلية والدّلالية المرتهنة بفاعلية العاطفة وحركيّة الوجدان" 4.

الأخضر : "يعدّ اللّون الأخضر في التّقسيم المركزي المعروف للألوان من الألوان الأساسيّة على المستوى التشكيلي ويحظي بأهمية متنوعة وواسعة ومنفتحة في الاستخدام الذي بتنوع بحسب درجة اللّون وطبقته وحدود اشتغاله للحيز التشكيلي ، ولا شكّ في أنّ الدّلالات التقليدية التي تعتبر عنها صفته اللّونية تتلون بتلون الموصوف وهو يرتبط بطبيعة الصورة وقيمة حضور اللون فيها" 5.

---

1 مرضية آباد –رسول بلاوى ،دلالات الألوان الشعرية في شعر يحي السّماوى صص9-32.

2 نفسه صص9-32

3 عبيدة صبطي ، نجيب بخوش ، الدلالة والمعنى في الصورة ، ص52.

4 فاتن عبد الجبار جواد ، اللون لعبة سيميائية ص 181.

5 نفسه ، ص91.

وهو يدلّ على السّعادة والصّحة ويساعد على إزالة التّوتر والقلق "وهو يرتبط بمعاني الدّفاع والمحافظة على النّفس ، كما أنّه يمثل التّجديد والنّمو والأيام الحافلة للشباب الأغوار"1.

إذًا هذه الألوان الزّاهية في الرّواية وهي ألوان تشير إلى التفاؤل والأمل والحياة وهي تشير إلى العالم المتطور والمتحضّر لأنها ألوان تعبر عن الفرح والسّعادة. ويوجد كذلك إضافة إلى هذه الألوان الزاهية ألوان أخرى معاكسة تماماً لهذه الألوان وهي ألوان باهتة غامضة وهي :

الأسود : يحمل اللّون الأسود في الثّقافة اللّونية دلالة اليأس والحزن ، والتّشاؤم ، والمجهول ، وهو لون منبوذ ، ومكروه ، وهو لون الظلام ، الكآبة ، والجهل" 2. ويعد اللّون الأسود من أكثر الألوان المهيمنة على حياة البشر "والأكثر تدخلاً في مصائرهم منذ أقدم الأزمنة وفي معظم الثّقافات على مر العصور أيضا ، والأكثر تشكيلاً لتقاليدهم وحساسية تعاملهم مع الأشياء في الحياة ، والأوسع استجابة لخوفهم وأحزانهم ومعاناتهم والتفافهم حول ذواتهم وتشبثهم بالمكان وهو يرمز إلى الخوف من المجهول ، والميل إلى التكتم ، ولكونه سلبي اللوّن يدل على العدميّة والفناء"3.

الرّمادي الدّاكن : "هو لون يتوسط بين اللّونين الأسود والأبيض مفتقراً في ذلك الى الحيويّة وبقدر ما يصبح غامقا فإنه يتجه نحو اليأس ، ويصبح لونًا جامدًا ، كما أنّه رمز الدّهاء ولون التّحذير من العمر والخوف في مستويات تعبيرية لونية أخرى"4.

---

1 مرضية آباد – رسول بلاوى ، دلالات الألوان في شعر يحي السماوى، صص9-32.

2 قدور عبد الله ثاني ، سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم) ، الوراق ، الأردن ،(ط1) ، 2008 ، ص113.

3 ينظر: فاتن عبد الجبار جواد ، اللون لعبة سيميائية ، ص44.

4 نفسه ،ص163.

البنّي: اللّون البنّي هو لون الطّبيعة والدّليل على الصّلابة ، فالتّراب لونه بنيّ والخشب لونه كذلك بنّي ، والصّخور والجبال . هذه الألوان الباهتة اللّون تشير إلى العالم المتخلّف المتحجّر عقليًا ،والمتمعّن في مركبات الغلاف يدرك أنها لم توضع جزافًا أو مجانًا هكذا ،وإنّما كانت مدروسة لتكون مؤشرًا على النّص ،فينتقل القارئ من متن الصّورة إلى النّص ومن النّص إلى الصّورة في علاقة تبادليّة تأويليّة . إذن كما يلاحظ من خلال هذه الألوان هناك تضادٌ بين هذه الألوان الألوان الزّاهية التي تشير إلى الفرح والأمل والتّطور، والألوان الأخرى الباهتة التي تشير إلى الحزن وانعدام الأمل والتخلف ويمكن إرجاع ذلك اهتزاز اليقين الذي يؤدي إلى اضطراب الرؤى وتضبيبها أو ظهور الرؤية الضبابيّة لدى القارئ وهذه المنطلقات قائمة على اللّعب الروائي.

4 اللّعب بالصّورة :

لقد استطاع الرّوائي الطيب صالح من خلال صورة غلاف روايته الشّهيرة هذه **"موسم الهجرة إلى الشمال"** "بوصفها فضاء يمارس عليه الكاتب رغباته الجمالية" [1] أن يستخدم وعيه الجمالي في تشكيل صورة الغلاف واستطاع من خلال هذه الصّورة أن يعبّر عن الصّراع والتقابل بين عالمين أو مكانين أوحتى حضارتين مختلفتين حضارياً وفكرياً وعلمياً من خلال التّمازج الذي أقامه بين الألوان، وهذه الألوان كل أشرنا سابقاً تنقم إلى قسمين ، قسم يمثل ويشير إلى العالم المتقدّم وتعبر عنه الألوان الزّاهية وهو دليل على الإنسان الشّمالي العقلاني المعتدّ والمعتمد على نفسه والصّريح جداً دون حواجز وموانع تقف في طريقه من أجل تحقيق وطموحه وهدفه المنسوب. والقسم الآخر و هو قسم يمثل ويشير إلى العالم المتخلّف وتعبر عنه الألوان الباهتة وهو دليل على الإنسان الجنوبي الرومانسي الذي يفتقد إلى الثّقة بالنّفس والتّردّد في اتخاذ القرارات .

ويظهر هذا الصّراع من خلال عنوان الرواية **"موسم الهجرة إلى الشمال** "حيث نلاحظ أنّه يشير ويحيل إلى حركة ذات واحدة تسير في اتجاه فضاء واحد وهو الشّمال ، لكن إذا تجاوزنا هذه القراءة الخطيّة واعتمدنا قراءة عموديّة تقوم على مبدأ التّداعي، سنلاحظ أن العنوان يدعونا إلى

---

1 عبد الناصر هلال ، الالتفات البصري من النص إلى الخطاب ،ص258.

إقامة تقابل بين الهجرة إلى الشّمال والعودة إلى الجنوب من جهة ، وبين الهجرة التي تتميز بأنها مؤقتة والعودة التي يمكن اعتبارها دائمة . إنّ الرّاوي من خلال عنوانه يؤسس إلى ثلاث ثنائيات أساسية وهي :

* الشّمال في مقابل الجنوب .

*الهجرة في مقابل العودة .

*الأنا في مقابل الآخر .

من هنا يمكن اعتبار أن العنوان في عمقه يحيل إلى فضاء ذو بعدين متقابلين، فالموسم يشير إلى وقت محدّد ، وهو بالتّالي يعبّر عن لحظة معينة ومؤقتة في صيرورة أو دورة الحياة ، هذه اللّحظة هي هجرة ، تليها عودة ، وبالعودة تكتمل الدّائرة ، بحيث تصبح نقطة الانطلاق هي نفسها نقطة النّهاية وما يختزله ذلك من عودة الذّات إلى أصلها والى الأنا.

هذا عن العنوان الذي جاء في مقدمة غلاف الرّواية ، ونلاحظ أنّه قبل العنوان جاء اسم الكاتب أعلى العنوان في إطارٍ واحدٍ مع العنوان ولكن بلون مغاير له وهو اللّون الأبيض الذي يدلّ على الرّوح الإيجابية المتفائلة ذات الأمل اللا متناهي المعقود في عنق المؤلف ، وكأنّه حمّل نفسه أمانة تبني شعار الأمل والانفتاح ، إذ تحوّل اسم المؤلّف في الغلاف إلى حياة ، وحياة متعاليّة " إن لون الأبيض لاسم الكاتب ينفتح على لعبة معنى محوريّة تبدأ وتنتهي إلى نقطة مركزيّة واحدة ، حيث يتشكّل اللّون الأبيض المرتهن نعتياً باسم الكاتب ليشكل معنىً دلالياً عميقاً يحيل علامياً على الإنجاز والإنتاج والعطاء ، و تطرح عتبة اسم الكاتب الواعدة بالخصب والنّور أسئلتها اللّونية الغائرة في باطن الصّورة ، لتسمح للاختيارات الأخرى بالظّهور وتضعها موضع الظّهور لإنتاج لعبة المعنى على النّحو الذي يسمح به فضاء اللّون في الغلاف"[1].

---

1 نصيرة لكحل ، شعرية العتبات في النص الموازي (مقاربة تحليلية لنماذج مغربية معاصرة) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي ، إشراف الدكتور لخضر بن السايح ، جامعة عمار الثليجي –الأغواط– ،2016 /2017 ، ص47 .

و للّون الأبيض رمزيّة عالّية التّداول في صنع الدّلالة وترميزها في أفق الاستخدام المعنوي السيميائي ."فهو في السّياق الدّلالي العام رمز الطّهارة والنّور والغبطة والفرح والنّصر والسّلام ،كما أنّه وفي السّياق ذاته والرؤية ذاتها والرؤية ذاتها رمز للصّفاء، والنقاء السريرة ، والهدوء والأمل ، وحب الخير والبساطة في الحياة، وعدم التّقيد والتّكلّف" 1 .إن اللون الأبيض لاسم الكاتب الذي يشير إلى النّور والفرح والسّلام سرعان ما يتلاشى شيئاً فشيئاً عندما نلاحظ تركيبة الألوان الأخرى للصّورة وتداخل الألوان فيما بينها فهيّ تشير إلى الماضي والحاضر والمستقبل. الماضي تمثله الألوان الباهتة والغامضة وهي ألوان تشير إلى الضّبابية وذلك من خلال عدم الرؤية المستقبلية للحياة ومن خلال الرواية ، نلاحظ أن هذه الألوان تعبر وتشير إلى البطل الرواية مصطفى سعيد وماضيه الأليم ومن وراءه الرّاوي ومن ورائهما الإنسان العربي ، حيث قال الطيب صالح في أحد اللّقاءات الصّحفية التي أجريت معه تحدّث فيها عن هذا الباب حيث قال : "أحداث الرواية عالمٌ وهميٌ لكنّي في الرّواية أرّخت لجيل كامل من السودانيين ذهبوا إلى إنجلترا ودخلوا في صدمات ..ولعله جيل كامل من العرب"2.

أولا :مصطفى سعيد : وهو النموذج الأصلي والحقيقي للمثقف البطل في مجتمع الاستعمار وما بعده ، ولقد عايش الاستعمار وتعايش مع لغته وهي اللغة الانجليزية التي جاءت مع النّظام الجديد والحياة الجديدة حيث استوعبها وفهمها جيداً وأدرك قواها الفاعلة جسدياً وروحياً وتاريخياً استفاد منها وتلوث بجرثومتها حيث هاجر إليها واختلط بها ، ثم عاد بعد ذلك غريباً ثم اختفى ومات ميتةً غامضةً.

ثانياً : الرّاوي : لا نكاد نعرف شيئاً عن حياته الشّخصية قبل سفره إلى لندن ثم عودته منها إلى بلده الأم السّودان: **"عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبة طويلة ، سبعة أعوام على وجه التّحديد كنت خلالها أتعلم في أوروبا .**

---

1 مرضية آباد –رسول بلاوي ، دلالات الألوان في شعر يحي السماوي ،صص9–32 .

2 خالد محمد غازي ، الطيب صالح ..سيرة شهادات من محطات العمر ،ص38 .

تعلمت الكثير ، وغاب عني الكثير، لكن تلك قصة أخرى المهم أنّني عدت وبي شوق عظيم إلى أهلي في تلك القرية الصغيرة عند منحى النيل ، سبعة أعوام ، وأنا أحن إليهم واحلم بهم ، ولمّا جئتهم كانت لحظةً عجيبةً أن وجدتني حقيقة قائماً بينهم ..." 1 ونلاحظ أنّه قد صرّح وأعلن عن سبب ذهابه إلى أوروبا وهو ذهابه من أجل التّعليم فيها ، على خلاف مصطفى سعيد الذي لم يصرح عن هذا . ولكن الرّاوي حاله حال مصطفى سعيد حيث كان يعاني صراعاً لا نهاية له وهو اغترابه ومن ورائه اغتراب الإنسان العربي ، حيث أن صراع الراوي كان داخلياً مع ذاته حيث يقول :" **العالم فجأة انقلب رأساً على عقب.الحب ؟ الحب لا يفعل هذا . إنه الحقد ، أنا حاقد وطالب ثأر وغريمي في الدّاخل ولابد من مواجهته . ومع ذلك ما تزال في عقلي بقية تدرك سخريّة الموقف . إنّني أبتدئ من حيث انتهى مصطفى سعيد ، إلاّ أنّه على الأقل قد اختار و أنا لم أختر شيئا . قرص الشّمس ظلّ ساكناً فوق الأفق الغربي زمناً ثم اختفى على عجل . وجيوش الظّلام المعسكرة أبداً غير بعيدة وثبت في لحظة واحتلت الدّنيا . لو أنّني قلت لها الحقيقة لعلها لم تكن تفعل ما فعلت"**2.

ثم يعترف الرّاوي بأنّه قد خسر الحرب وبقيّ وحده لا مهرب و ملاذ له حيث يقول :" **خسرت الحرب لأنني لم أعلم ولم أختر.ووقفت زمناً طويلاً أمام باب الحديد . أنا الآن وحدي ، لا مهرب ولا ملاذ ، لا ضمان . عالمي كان عريضا في الخارج ، الآن قد تقلص و ارتد على أعقابه حتى صرت العالم أنا ولا عالم غيري .أين إذن الجذور الضاربة في القدم ؟ أين ذكريات الموت والحياة ؟ ماذا حدث للقافلة والقبيلة ؟ أين راحت زغاريد عشرات الأعراس و فيضانات النّيل وهبوب الريح صيفاً وشتاءً من الشّمال والجنوب ؟ الحب ؟ الحب لا يفعل هذا .إنه الحقد.**

---

1 الرواية ، ص 05

2 الرواية ، ص 160.

ها أنذا أقف الآن في دار مصطفى سعيد ((باب حديد)) باب الغرفة المستطيلة المثلثة السّقف الخضراء النّوافذ . المفتاح في جيبي وغريمي في الدّاخل على وجهه سعادة شيطانيّة لا شك ؟ أنا الوصيّ والعاشق الغريم "1. إذن كما يلاحظ هنا فان معاناة وصراع الرّاوي كان صراعاً داخلياً بينه وبين نفسه في الدّخل وليس مع مصطفى سعيد ، حيث كان يقول عنه : **" أحياناً تخطر لي فجأة تلك الفكرة المزعجة أن مصطفى سعيد لم يحدث إطلاقاً ، وأنّه فعلاً أكذوبة ، أو طيف أو حلم ، أو كابوس ، ألمّ بأهل القرية تلك ، ذات ليلة داكنة خانقة ولما فتحوا أعينهم مع ضوء الشّمس لم يروه** "2 . ويقول أيضا :" **مات مصطفى سعيد منذ عامين ولكنّني ما أفتأ أقابله من حين لأخر . لقد عشت خمسة وعشرين عاماً ، وأنا لم أسمع به ولم أره .ثم ، هكذا فجأة أجده في مكان لا يوجد فيه أمثاله . وإذا بمصطفى سعيد، رغم إرادتي، جزءٌ من عالمي ، فكرة في ذهني ،طيف لا يريد أن يمضي في حال سبيله"** 3. "**وفي الخرطوم أيضاً ، عرض لي طيف مصطفى سعيد بعد محادثتي مع المأمور المتقاعد بأقل من شهر ، وكأنّه جنٌّ أطلق من سجنه ،سيظلّ بعد ذلك يوسوس في آذان البشر، ليقول ماذا ؟ لا أدري** "4.

إذن نلاحظ أنّ الرّاوي كان يعاني صراعاً داخلياً مع داخله ،ومع مدار الرّواية كان لا يترك فرصة للرّد على غريمه أو قرينه هذا وهو مصطفى سعيد إلّا واغتنمها ، ولكن من دون جدوى فهو لا يردّ عليه وجهاً لوجه ،بل كان مجرد خيال يظهر ويختفي .

---

1 الرواية صص 160 ،161.

2 الرواية ص 59

3 الرواية صص 63-64

4 الرواية ص69 .

كل هذه الصّراعات والمعانات تمثل الماضي الأليم للرّاوي وهي متماثلة على غلاف الرّ واية وتعبر عنها الألوان الباهتة ،حتىّ التّفاحة موجودة في بقعة غامضة سوداء في أسفل غلاف الرّواية ومن المفروض أن تكون لافتة للانتباه لكنّها وُضعت في مكان لا ينظر فيه إليها إلا من بعيد ، بعد ألوان داكنة تشير إلى أن هذا الهدف والأمل يفتقر إلى اليقين في سبيل الوصول إليه .بمعنى أنّه مازال لم تتوفر لدينا الظروف الملائمة للخروج من المأزق الذي نحن مازلنا فيه وهو عدم الخروج عن العادات والتقاليد السيئة والخاطئة التّمسك بها حتىّ تقع الواقعة ونجد أنفسنا لم نحقق بعد أي شيء ممّا نودّ تحقيقه في هذه الحياة فنفظّل البقاء وعدم الذّهاب وهذا ما قاله الرّاوي حين كان يجابه الموت حيث قال بأنّه يريد الحياة : " **طول حياتي لم أختر ولم أقرّر. إنّني أقرّر الآن أنّني أختار الحياة . سأحيا لأن ثمّة أناسٌ قليلين أحبّ أن أبقى معهم أطول وقت ممكن ولأنّ عليّ واجبات يجب أن أؤديها لا يعنيني إن كان للحياة معنى أو لم يكن لها معنى .وإذا كنت لا أستطيع أن أغفر فسأحاول أن أنسى سأحيا بالقوة والمكر . وحرّكتُ قدمي وذراعي بصعوبة وعنف حتى صارت قامتي كلها فوق الماء . وبكل ما بقيت لي من طاقة صرخت ، وكأني مثل هزلي يصبح في مسرح :** ((**النجدة . النجدة**)) "[1].

إذن وكما أشرنا سابقاً بأّنه يوجد إلى جانب هذه الألوان الباهتة ألوان أخرى زاهيّة تشير إلى الحاضر والمستقبل وهي متمثلة في العالم الغربي المتطوّر فكرياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً وذلك راجع إلى الإنسان الشّمالي صاحب العقل الرّاجح وهو معتدٌّ بنفسه وهو صريح و واضح في قراراته جداً من دون خوف ولا تردّد .

---

1 الرّواية ،ص 200.

5 جدليّة الأحمر والأسود :

بتشكل غلاف الرّواية من مجموعة ألوان متداخلة ومتعالقة ومتشابكة فيما بينها ، لكن يغلب على هذه الألوان لونين يتصدّران قائمة هذه الألوان وهما :"**الأحمر والأسود** " وللصّفة اللّونية هنا "سيمياء تشكيليّة خاصة ونوعيّة تمارس هويتها في إنتاج لعبة المعنى مع باقي المكونات وهي تخضع لمنطق التوجيه والتّشكيل والتّدليل" 1. حيث أن اللّون الأحمر وهو من الألوان الزّاهية كما أشرنا سابقا هو "لون دافئ يستخدم لإثارة الهيجان القويّ وخلق الدّوافع النّفسيّة المغريّة ،فهو رمز للحب والغرام والأنيس كما أنّه أحياناً يدلّ على الشّعور بالغضب والحدّة" 2. وهو أيضاً لون العواطف الثّائرة والحب الملتهب ، والقوّة والنّشاط ، وهو رمز النّار المشتعلة ويستعمل بعض الأحيان للدّلالة على الغضب والقسوة والخطر وللدّلالة على الحب الجنسي والعنف والثّورة" 3. وقد ارتبط هذا اللّون في المعتقد الشّائع برمزيّة السّلطة ، حيث أنّه أقوى الألوان تأثيراً على الحاسّة الإدراكيّة البصريّة ، لذلك فإن حضوره يجعله مهيمناً على بقية الألوان الأخرى ."وهو لون إغرائي يمارس سلطة كسب الرّهان العاطفي حيث جرى الاعتقاد الشّائع بتلوين عواطفنا باللّون الأحمر"4.

---

1 فاتن عبد الجبار ، اللون اللعبة السيميائية ، ص75.

2 مرضية آباد –رسول بلاوي ، دلالات الألوان في شعر يحي السّماوي ،صص9-32.

3 فاتن عبد الجبار، المرجع السابق ، ص138.

4 ينظر :نادية خاوية الاشتغلال السيميولوجي للألوان ،ص348.

ونلاحظ أنّ هناك لون آخر سائد على غلاف الرّواية وهو اللّون الأسود ، حيث أنّ هذا اللّون "يحمل في الثّقافة اللّونية دلالة اليأس ، الحزن ، التشاؤم والمجهول ، وهو لون منبوذ ، ومكروه ،وهو لون الظلام ، والكآبة والجهل" 1 ويجد اللّون الأسود من أكثر الألوان المهيمنة على حياة البشر "والأكثر تدخلا في مصائرهم منذ أقدم الأزمنة وفي معظم الثّقافات على مرّ العصور أيضاً ، والأكثر تشكيلاً لتقاليدهم و حساسيّة تعاملهم مع الأشياء في الحياة ، والأوسع استجابةً لخوفهم وأحزانهم ومعاناتهم والتفاتهم حول ذواتهم وتشبّثهم بالمكان وهو يرمز إلى الخوف من المجهول ، والميل إلى التّكتّم ، ولكونه سلبي اللّون يدل على العدميّة والفناء" 2. نلاحظ ممّا سبق أن هذين اللّونين هما نقيضان لبعضهما البعض فأحدهما وهو اللّون الأحمر الذي يشير إلى الحب والسّلام والأمن والاستقرار والرفاهيّة والمودّة ويشير إلى كلّ الأشياء الجميلة في الحياة ، واللّون الثّاني هو اللّون الأسود وهو يشير إلى الحزن والتّعاسة والشّقاء والفقر والضّياع وجميع الصّفات السيئة الموجودة في الحياة ولذا فأنّ العرب قديماً كانوا عندما يحزنون يلبسون هذا اللّون الأسود وهو يرمز أيضا للجهل والظّلام والكآبة .

ومن خلال الرّواية نلاحظ أنّ اللّون الأحمر لطالما ارتبط مدلوله بالعاطفة الملتهبة ،كما يشير إلى الممنوعات والطابوهات التيّ تخللت الرّواية والمتمثلة في غراميات مصطفى سعيد واغوائه للنّساء الغربيات ،حيث كان يوهم كلّ واحدةٍ منهنّ بالزّواج ، وكان كلّ مرّة يتنحل اسماً مختلفاً عن الذي قبله "**إنّك كنت حسن ، وتشارلز ، وأمين ، ومصطفى ، ورتشارد ؟**))" 3. وطول فترة التي قضاها مصطفى سعيد هناك كان كلّ ليلة يصطاد فريسة و يجلبها إلى فراشه حيث قال :

---

1 قدور عبد الله الثاني ، سيميائية الصور، ص113.

2 ينظر: فاتن عبد الجبار جواد، المرجع السابق ،ص 44.

3 الرواية ،ص 46.

"ثلاثون عاماً كان شجر الصّفصاف يبيضّ ويخضرّ ويصفرّ في الحدائق ، وطير الوقو ق يغني للرّبيع كل عام . ثلاثون عاماً وقاعة البرت تغصّ كلَّ ليلةٍ بعشاق بيتهوفن وباخ والمطابع تُخرج آلاف الكتب في الفن والفكر. ومسرحيات برناردشو تمثل في الرُويال كورت والهيماركت .كانت ايدث ستول تغرّد بالشّعر ومسرح البرنس أف ويلز يفبض بالشّباب ولألف البحر في مده وجزره في بورتمت و برايتن ومنطقة البحيرات تزدهي عاماًبعد عام. الجزيرة مثل لحن عذب ، سعيد حزين ، في تحوّل سرابي مع تحوّل الفصول. ثلاثون عاماً وأنا جزءٌ من كلّ هذا ،أعيش فيه ، ولا أحسّ جماله الحقيقيّ ، ولا يعنيني منه إلا ما يملأ فراشي كل ليلة "1 حيث تسبّب في انتحار فتاتين وحطم امرأة متزوجة ، وهنّ **"آن همند" " و شيلا غرينود" و إيزابيلا سيمور** " وقتل زوجته **"جين مورس"** و نلاحظ أنّ مصطفى سعيد كان همّه الوحيد هو كيفية الوصول إلى مبتغاه وهو نجاحه في الوصول إلى كل فتاة يراها وبأي طريقة كانت و يدخلها غرفة نومه التي وصفها بأنها **" غرفة نومي مقبرة تطلّ على حديقة ، ستائرها وردية منقاة بعناية وسجاد سندسي دافئ و السّرير رحب مخدّاته من ريش النّعام وأضواء كهربائية صغيرة ،حمراء وزرقاء ، وبنفسجية موضوعة في زوايا معينة ، وعلى الجدران مرايا كبيرة حتى إذا ضاجعت امرأة بدا كأنّني أضاجع حريماً كاملاً في آنٍ واحدٍ . تعبق في الغرفة رائحة الصندل المحروق والنّد ، وفي الحمّام عطور شرقيّة ونفاذة ، وعقاقير كيماوية ، ودهون ، ومساحيق ، وحبوب . غرفة نومي كانت مثل غرفة عمليات في مستشفى. ثمة بركة ساكنة في أعماق كلّ امرأة .كنت أعرف كيف أحركها"**2.

---

1 الرواية ، ص 47.

2 الرواية ، صص 40-41.

إذًا كما يلاحظ هنا أنّ اللّون الأحمر يرمز ويشير إلى غراميات مصطفى سعيد في لندن ولكن هناك لون آخر يدلّ على حزنه وتعاسته وهو اللّون الأسود الذي يعتبر عن الألم والحزن الذي عاشه مصطفى سعيد طول فترة حياته من صغره مروراً بشبابه حتى اختفاءه وموته ميتةً غامضةً في شاطئ النّيل حيث أنّ اللّون الأسود يحافظ في الغلاف على مناخه العلامي السّلبي وهو يشتغل اشتغالاً مرآوياً في فضاء الصّورة في علاقتها بالنّص ويعكس في هذا السّبيل المعاني التي تتلاءم مع خصوصيّة التّعبير السّيميائي اللّوني المبطن عادةً في خلفيّة الأسود وتمثيلاته المختلفة ويحمل اللّون الأسود في الثّقافة اللّونيّة "دلالة اليأس، والحزن، والتشاؤم ،والمجهول، وهو لون منبوذ ومكروه وهو لون الظّلام والكآبة والجهل" 1. ويظهر اللّون الأسود في الغلاف بتمثيلاته الكثيفة الحضور و القيمة والتّلقي والتّداول والاستخدام باعتباره اللّون الأكثر استجابة لمعاني خوف الإنسان وحزنه ومعاناته والتفافة حول ذاته وهو كثيراً ما يرمز إلى "التّكتّم وكونه لون سلبي يدلّ على العدميّة والفناء" 2 . وإذا ما رجعنا إلى الرّواية وتتبّعنا سيرة مصطفى سعيد نجد بأنّ سبب حزنه وتعاسته راجع إلى أسباب عدة ومن بينها أنّه نشأ يتيم الأب، فقد مات أبوه قبل والدته ببضعة أشهر، ولم يلق حب وحنان أمّه في صغره وكانت علاقته بها علاقة لا تشبه علاقة الجميع الأمّهات بأبنائهنّ ، فقد كانت بالن س بة له شخص غريب جمعتهما الظروف صدفةً في الطريق .أما عن طفولته فقد كانت عبارة عن لعب وتسكّع في الشّوراع وأكل وشرب ومن ثمة نوم وهكذا أي أنّه لم يكن كبقية الأطفال في سنّه بل كان مختلف عنهم . فقد عاش عيشة غير عاديّة طوال هذه الفترة حتى شبابه وذهابه إلى لندن واختلاطه مع هذا المجتمع الغريب عنه ولكن لم يستطيع التّأقلم مع أجواء هذا العالم الجديد والغريب عنه . حيث يقول : **"هنا أيضًا صحراء مخضرّة مزرقّة ممتدّة تناديني ، وقادني النداء الغريب إلى ساحل دوفر وإلى لندن ،وإلى المأساة .لقد سلكت ذلك الطريق بعد ذلك عائداً و كنت أسائل نفسي طوال الرحلة ،هل كان من الممكن تلافي شيء مما وقع ؟ وتر القوس مشدود، ولابدّ أن ينطلق السّهم .**

---

1 قدور عبد الله الثاني، سيميائية الصورة ،ص 113.

2 فاتن عبد الجبار، اللون لعبة سيميائية ،ص 44.

وأنظر إلى اليسار واليمين وإلى الخضرة الدّاكنة والقرى السكسونية القائمة على حوا في التّلال .سقوف البيوت الحمراء محدودبة كظهور البقر ، وثمة غلالة شفافة من الضّباب، منشورة فوق الوديان . ما أكثر الماء هنا و أرحب الخضرة .وكل تلك الألوان ورائحة المكان غريبة " 1 . إذن كل هذه الأجواء كانت غريبة عنه وإذا رجعنا إلى سيرته في لندن نجد بأنّه كان حاقداً على هذا المجتمع ، وهذا الحقد لا يرتوي إلاّ وبالقتل ، فهناك شهوة حتى الموت وهو يعترف بهذا حيث قال " **إنّني جئكتم غازياً. عبارة ميلودرامية ولاشك . ولكنّ مجيئهم ،هم أيضاً ، لم يكن مأساة كما نصور نحن ، ولا نعمة كما يصورون هم ، كان عمالاً ميلودرامياً ليتحوّل مع مرور الزّمن إلى خرافة عظمى**"2.

إذن وكما يلاحظ فإن هناك جدليّة قائمة بين هاذين اللّونين فأحدهما يعبّر عن السّعادة والفرح ولآخر يعبّر عن الحزن والشّقاء في حياة مصطفى سعيد، وهذا إن دلّ على شيء يدلّ على أنّ هناك انشطار وتمزّق داخلي يعاني منه هذا الأخير ،حتىّ أنّه قال عن نفسه في عدّة مناسبات بأنّه أكذوبة :"**هذا المصطفى سعيد لا وجود له . إنّه وهم ، أكذوبة .إنّ ني أ طلب منكم أن تحكمون بقتل الكذوبة "** وفي قوله أيضا : "**أنا صحراء الضمأ .أنا لست عطيلاً . أنا أكذوبة .لما ذا لا تحكمون بشنقي فتقتلون الأكذوبة** !"3 ربما فعلاً وجود مصطفى سعيد أكذوبة ،فهوّ مجرّد شخصيّة في هذه الرّواية التي هي في الحقيقة مجرّد عالم وهمي لكن في داخل كلّ واحدٍ فينا يوجد بداخله مصطفى سعيد وهذا ما قاله كاتب الرّواية حيث قال:

---

1 الرواية ، صص 36-37

2 الرواية ، ص 76

3 الرواية ، ص 43.

" أحداث الرّواية عالم وهمي لكنيّ في الرّوية أرّخت لجيل كامل من السودانيين ذهبوا إلى انجلترا ودخلوا في صدمات.. ولعله جيل كامل من العرب" 1. إذن هناك صراع وتمزّق وتشتّت يعاني منه الإنسان العربي وهو واضح من خلال الرّواية وهذا ما يلاحظ من خلال الجدل بين الأحمر والأسود المهيمنان على غلاف الرّواية والعلاقة بينهما علاقة حرب ضروس لا تنتهي والغلبة دائماً فيها للقوي المتطوّر والمتحضرّ ،لا المتخلّف المتحجّر ذهنياً.

6 الغلاف الخلفي بين الدّعاية والمكاشفة :

يوجد لدى كلّ واحدٍ فينا غريزة وهي حبّ الاطّلاع على الأشياء واكتشافها ومن بين هذه الأشياء مثلاً وهو ما يحدث عندما تمسك كتاباً أو رواية بما أن موضوع بحثنا عن الرّواية لأول مرة حيث أنّنا مباشرة بعد قراءة العنوان و الاطّ لاع على الغلاف الأوّل للرّواية أو واجهتها مباشرة نقوم بالذّهاب إلى الغلاف والخلفي لها و قراءة ما جاء فيه، وهذه القراءة ة تمدّنا بصوّر أولي للرّواية وكأنّ صفحتي الغلاف عبارة عن قشرة لكتاب، والشّكل يقدّم المعرفة الأوّليّة بحيث أنّه يثير و يدفع القارئ من أجل قراءة الرّواية والاطّلاع عليها .وعليه فانّ الغلاف الخلفي هو "العتبة الخّلفية للرّواية التي تقوم شكلياً بوظيفة عمليّة هي؛ إغلاق الفضاء الورقي .كما يقوم دلالياً بوظائف أخرى " 2 . وعند الاطّلاع على الغلاف الخلفي للرّواية التي نحن بصدد قراءتها اليوم وهي رواية **"موسم الهجرة الى الشّمال"** نجد بأنّها تحمل صورة كاتبها وهو الرّوائي والأديب المشهور " **الطيب الصالح** " بألوان باهتة بعيدة. وهناك شبه ظاهري بين كاتب الرّواية وبطلها مصطفى سعيد وهو ما صرّح به الطيب صالح حيث قال:

---

1 خالد محمد غازي ،الطيب صالح.. سيرة وشهادات من محطات العمر، ص38 .

2 محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (1950م.2005م)، المركز الثقافي العربي المغرب ،(ط1) 2008م ، ص 137.

" من الطبيعي أن يكون الكاتب موجود في أعماله ... وبالنّسبة لهذه الرّواية فهناك شبه ظاهري بين الشّخصية الرئسية (مصطفى سعيد)، لكي لا أشبه بتكويني الأساسي ... أحداث الرّواية عالم وهمي لكي في الرواية أرّحت لجيل كامل من السواد نيين ذهبوا إلى انجلترا ودخلوا في صدمات ... ولعلّه جيل كامل من العرب. وبالنسبة للشخصية السودانية في السودان حينما عالجتها في ذات الرّواية بعد عودة بطل الرّواية للوطن.. . لقد عشت طفولتي في البيئة التي عاد إليها مصطفى سعيد .. وهي منطقة في شمال الصّحراء .. بيئته زراعية وبلاد نخيل .. في هذه البيئة كلّ واحد شي خاص قائم في ذاته .. ولقد قلت مرّة أنّ مشروعي الكتابي مستقبلاً أن أحوّل هذه الشّخوص من هذه البيئة التي يسمّونها فلاّحين إلى شخوص أسطوريّة، مثلما فعل هوميروس في الإلياذة.." 1. و إذا ما رجعنا إلى تتبّع سيرة مصطفى سعيد ومقارنتها مع كاتبها الطيّب صالح حيث أنّ كلاهما ولداَ في السودان حيث توجد البشرة السّمراء والشّعر المجعّد وغيرها من مظاهر فيزيولوجيّ ة موجودة في هذا البلد على غيره من البلدان الأخرى ،وكلّ واحدٍ منها ذهب إلى لندن وعاش فيها زماناً واختلاط بالمجتمع هناك حيث التّقدم والتّطور والتّحضّر والرّقي وكل أساليب الرّفاهيّة ، وكلاهما تزوّج من امرأة أجنبية من هناك .وحياته أي الطيب صالح مثلما هي كتاباته ، لم تكن سوى محاولة لردم تلك الهوّة * 2 في ما بين شرق وغرب 3". وجاءت صفحة الغلاف الخارجي تحمل صورة الطيب صالح وأعلى الغلاف وعلى جانبها الأيسر تحمل اسم كاتبها وعنوان الرّواية وهذا ما لا يمكن تجاوزه أو تجاهله لأنّ اسم الكاتب على غلاف عمله هو عبارة عن إثبات هويّة الكاتب لصاحبه وتحقيق الملكيّة الأدبيّة والفكرة له وذلك من أجل تحقيق وظيفة ملكيّة العمل لصاحبه .

---

1 خالد محمد غازي ،الطيب صالح.. سيرة وشهادات من محطات العمر، صص37- 38 .

*2 الهوّة: الحفرة البعيدة القعر .و – البئر – يقال وقع فلان في هوّة في بئر مغطاة .

3 ينظر : المرجع السابق ، ص 21.

والوظيفة الإشهاريّ ة وهي من أجل تحقيق الشّهرة له بحيث أنّه وبمجرد قراءة العنوان نعرف لمن يكون أي أنه يلازمه بظلّه وخياله . ونلاحظ أنّ الروائي" الطيب صالح " وبطل الرّواية "مصطفى سعيد "كان كلّ واحدٍ منها يعاني من الانشطار والصّراع الدّاخلي بين عالمين مختلفين كلياً في جميع مجالات الحياة الفكريّة والعلميّة والسّياسيّة وكلّ منهما بداخله شوق وحنين إلى البلد الأم حيث الشّعور بالانتماء والأمان. و نلاحظ في الأخير أن غلاف الرّواية بوجهيه الأمامي والخلفي يقوم بدعوة القارئ إلى قراءة هذا العمل الرّوائي وذلك من خلال لفت انتباهه بالرّسومات والألوان الموجودة في غلافه الأمامي واسم كاتب هذا العمل وصورته على ظهر الغلاف وهو ما يسمى بنسبة النّص لصاحبه وتوثيق النّشر زماناً ومكاناً ، وهو يقوم "بوظيفة إيحائيّة يعدّ من خلالها المتلقي منذ البداية لقراءة الرّواية قراءة محدّدة ، ويهيئه من العنوان لأفق تأويلي خصب"1.

---

1 علي جعفر العلاق ، الدّ لالة المرئية (قراءات في شعرية القصيدة الحديثة)، دار الشروق ، الأردن ، (ط 1) ، 2002، ص64.

الفصل الثاني : عتبات العنوان في الدّلالات

1 التّشكيل اللّغوي

2 شعرية العنوان و مقتضيات السّرد

3 الشّخصية الروائيّة و جدلية العلاقة مع العنوان

4 رحلة العبور إلى الآخر

5 رحلة العودة

"زاد الاهتمام بالعنوان في الدّراسات النّقدية الحديثة ، في ظلّ العناية بعتبات النّص ،لأنّه العلامة التي تمثل النّص وتعبّر عنه ، لما يحمله من دلالات مباشرة ومتخيل هـ عند المتلقي ، و لأنّه الأساس الذي يرتكز عليه الإبداع الأدبي المعاصر في جذب انتباه القارئ ، ولأنّه من العلامات الأدبيّة التي ينبغي أن توضّح الدّلالات و الاصطلاحات التّفسيريّة التي تحتويها النّصوص الأدبيّة التي تصل المتلقي .كما أنّه يمثّل الاتصال الأوّل بين القارئ و النّص، و بهذا المفهوم فقد جاءت أهميّة العنوان عند النّقاد العرب عند حديثهم عنه بأنّه المفتاح الذي يؤدي إلى فهم النّ ص" [1] ويتّضح لنا أن العنوان هو المحدّد الأساسي لفهم مقاصد النّص الدّلالية وهو الكلمة الدّلالية أو الصّورة الأساسيّة التي يستحضرها المتلقي للعمل الإبداعي . والعنوان هو "بنية دلاليّة و إشهار يّ عامّة للنّص الرّوائي ، وهو جزء من الكتابة الفنيّة نظراً لما له من أهميّة على المستوى الإعلامي (الإشهار) أولاً ، وعلى المستوى الفكري ثانياً و على المستوى الجمالي ثالثاً ، ونظراً إلى كلّ هذه الاعتبارات ف إنّ العنوان ذو أهميّة خاصّة بالنّسبة للمؤلف و المتلقي على السّواء ، لأنّه جماع النّص و ملخّصه "[2].

1 التّشكيل اللّغوي :

إنّ جماليّات العنوان في الأعمال الأدبيّة عامّة و الروائيّة خاصّة تبني على" اعتبارات سيميولوجيّة و دلالية و براجماتيّة تتّصل بالعنوان بوصفه نصّاً أوّلياً يمثل بوابة العمل الأدبي ، ولا يأتّ ى ذلك إلا بالنّظر إلى نوعه ووظيفته ومدى ارتباطه بمضمون النّص الذي يعنونه "[3].

وعنوان روايتنا هذه **"موسم الهجرة إلى الشمال "، 1966 للطيب صالح** " " فعنوانها من حيث التّركيب تكون من أربع كلمات ، فهو من العناوين الطويلة إلاّ أنّه

---

[1] حسام الدين دفع الله عبد الله ، العلاقات بين مضمون النص و عنوانه (نماذج من الرواية السودانية)، جامعة السودان التقنية ، كلية ود مدني التقنية –قسم اللغة العربية ، مجلد 19، (1) ، 2018، ص 03.

[2] إدريس الناقوري ، لعبة النسيان – دراسة تحليلية نقدية ، الدار العالمية للكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ،(د ط) ، 1995 ، ص04.

[3] نفسه ، ص 09.

يعدّ مناسباً لموضوع الرّواية لأنّه عبّر عن معنىً كبير وهو الصّراع الحضاري ومثّل جملة خبريّة من حيث الوظيفة فهو يمثل الوظيفة الوصفيّة التّلخيصيّة الواصفة لمضمون النّص الرّوائي، وهو الصّراع الحضاري بين الشّرق والغرب "[4].وهذا الصّراع بين الشّمال الذي يمثل شاطئ التّقدم و الحداثة و الرّقي و الحريّة و الأمن و الاستقرار .... الخ . و الجنوب ال ذي يمثل شاطئ التّ خلّف و الجمود و التّحجّر و الفقر و انعدام الأمل ...الخ . وتمثّل ذلك في بطل الرّواية (مصطفى سعيد) الذي مثّل عنوان الصّراع ورمز للحضارة الغربية ، وهي كما رسمها المؤلف شخصيّة و أهميّة ابتكرها خيال الكاتب ليجسد من خلاله ذلك الصّراع الحضاري بين الشّرق العربي و الغرب الأوروبي ، كما نلاحظ فيه الجانب الفنّي في أنّه استعارة مستوحاة من هجرة طيور الشّمال إلى جنوب البحر الأبيض المتوسط ، أو طيور الجنوب تهاجر إلى الشّمال ، "كما نجد أن العنوان جاء معبراً عن المعنى الكلّي للعمل الرّوائي ، كما يمكن أن يصنّف العنوان أنّه عبّر عن حالة نفسيّة شعوريّة عبّر عنها عن طريق الرّمز الإستعاري لوصف العلاقة بين الشّرق والغرب ، كما أنّ العنوان يصنّف من العناوين التي تتّخذ المكان عنواناً له ، حيث حدّد المؤلّف الشّمال مكاناً للحضارة الغربيّة ، و الجنوب مكاناً للحضارة العربيّة ويعتبر عنوان الرّواية "موسم الهجرة إلى الشّمال " من العناوين الملحوظة في ارتباطه بمضمون النّص لأنّه لم يعبّر صراحة عن مضمون الصّراع بين الشّرق والغرب ونستطيع استنتاج المعنى المراد منه من خلال القراءة الكليّة للنّص الرّوائي"[5] .

والصّراع ما بين الشّمال والجنوب ما يزال مستمراً و إن تغيّرت أشكاله ، وهذا ما قاله الطّيب صالح " التّحدي الآن هو مابين الجنوب المتخلّف تكنولوجياً والشّمال المتقدّم هو تحدٍ اقتصادي وثقافي و إعلامي .. وبين الاثنين فجوة كبيرة تصل إلى مئات السّنين . وهو صراع ليس على مستوى الدّول و إنّما على مستوى الأشخاص ، فهو يبرز وجود عقليتين مختلفتين في كلّ شيء ، الجنوبي الرومانسي الذي يفتقد الثّقة

---

[4] ينظر : المرجع السابق ، صص 09-10.

[5] نفسه ، ص 10.

بالنّفس والشّمالي العقلاني المعتد بنفسه و الصريح جداً .. والعلاقة بين الرّجل و المرأة تكشف أبعاد هاتين العقليتين "[6].

وتعدّ رواية "موسم الهجرة إلى الشّمال " من الرّوايات المزدحمة بالمعاني والدّلالات فالرّواية من حيث الشّكل مغريّة بقراءة متأنيّة . وهي كذلك من حيث الموضوع " لأنّها حلقة من سلسلة الأعمال الرّوائيّة التي تدور حول مسألة الشّرق و الغرب ، التي نظرا إليها المؤلّف من زاويته الخاصّة ، فوجدها مسألة الجنوب و الشّمال وربّما نظر أيضاً إلى عنوان رواية نجيب محفوظ " السّمان و الخريف " التي تدور حول موضوع آخر لكنّ الاستعارة في العن اوين واحدة ، وهي مستوحاة من هجرة طيور الشّمال إلى جنوب البحر المتوسط ، و ه ذا ما يشير إليه عنوان "نجيب محفوظ "وقد ذهب "الطيب صالح "إلى العكس فجعل طيور الجنوب وهو واحد منها ، تهاجر إلى الشّمال "[7] . "غير أنّ الخلاف بسيط و مسالة الجنوب و الشّمال تتضمّن مسألة الشّرق والغرب التي يشير إليها عنوان "توفيق الحكيم "الذي سبق الجميع إلى استعارة الطّيور المهاجرة في روايته " عصفور من الشّرق " وسواء أكانت المسألة شرقاً و غرباً أم جنوباً و شمالاً ، فهي في الحالتين علاقتنا بالحضارة الأوروبيّة التي هي مادة التّشكيل الأوّلي في الرّواية العربيّة .

---

[6] يرظر : خالد محمد غازي ، المصدر السابق ، ص 33.

[7] نفسه ، ص 145.

"من هنا فقد احتلّ موضوع الشّرق و الغرب في الرّواية العربيّة المكان الذي احتلّه المديح في القصيدة العربيّة الكلاسيكيّة ، ومقابلة ال شّر ق بالغرب أو الغرب بالشّرق الرّواية العربيّة ليست مقابلة بين مكان ين أو جهتين من الج هـ ات الأربع و إنما هي مقابلة بين تاريخين أو طورين من أطوار التّقدم أو شرطين من شروط قيام الحضارة وبناء الشخصيّة "[8]. ورواية " موسم الهجرة إلى الشمال " تعتبر تجسيداً لتلك العلاقة المتوترة بيننا وبين الغرب وهي علاقة مبنية على العنف الدّموي الذي لا ينتهي إلا بأن يقهر أحدهما الآخر. ويظهر ذلك من خلال نظرة مصطفى سعيد إلى طبيعة العلاقة مع الغرب التي تبدو محكومة بالتجربة الاستعماريّة برمّتها ، رغم أن الرّواية لا تهتم كثيراً بإيراد هذا النّوع من التفاصيل المتعلّقة بالتّجربة ومع ذلك ف إنّ إدراك مصطفى المحموم بعمق الصّدمة الاستعماريّة يدفع هـ إلى اختيار سلاح غريب لإشعال الحرب في عقر دار المستعمر ، وتلعب عناصر الحرمان الجنسي والعداء التاريخي للغرب و الاصطدام المباشر بالرؤية الاستعلائية للمستعمر دوراً بارزاً في تأجيج هذه الحرب الطقسيّة التي يخوضها مصطفى سعيد في ساحة معركة وقودها أجساد النّساء ، ويقول مصطفى عن الغرب الذي احتلّ أرضه بأنّه **" جرثومة مرض عضال أصابهم منذ ألف عام "**[9] وهو يشير هنا إلى القتل و العلاقة الجنسيّة و التي أصبحت عادة العربي حين يهان أو يغضب ، أو يفرغ عن نفسه ، وهو يصفها بالجرثومة لأنّها هلكت به عندما قتل زوجته " جين مورس " و أقام علاقة مع النّساء ، وهي بمثابة خسارة له لأنّه جاء للغرب ليغزوها بعلمه و بالسّخريّة من نساء الغرب ، ولم يأتي ليَقتل ويحكم عليه بالسّجن ، حيث يقول وهو في المحكمة **" إنّني جئتكم غازياً عبارة ميلودرامية ولاشك . ولكن مجيئهم ، هم أيضاً ، لم يكن مأساة كما نصور نحن ، ولا نعمة كما يصورون هم . كان عملاً ميلودراميا**

---

[8] ينظر: المرجع السابق : صص145-147.

[9] الرواية ، ص43.

سيتحول مع مرور الزمن إلى خرافة عظمى "[10] ويقول أيضاً : " **أنا صحراء الظّمأ ، أنا لست عطيلاً، أنا أكذوبة ، لماذا لا تحكمون بشنقي لتقتلوا الأكذوبة!**" [11].

إذا كما نلاحظ هناك صراع حضاري و ثقافي بين الشّمال و الجنوب، و هذا الصّراع ليس على مستوى الدّول و إنّما على مستوى الأشخاص، فهو يبرز وجود عقليتين مختلفتين في كلّ شيء،الّشمال الذي يرمز و يشير إلى حضارة التّمدن و الرقي و التي تمثلها دول العالم الغربي، و الجنوب الذي يرمز و يشير إلى حضارة التّخلق و الجمود التي تمثلها دول العالم الشرقي.

2 شعريّة العنوان و مقتضيات السّرد:

تعدّ رواية **"موسم الهجرة إلى الشمال** " ضمن روايات الحدث أو الحركة و تعالج موضوع الصّراع الحضاري بين الشّرق و الغرب و أثر الهجرة إلى الشّمال، و تنبع أهمّيتها ممّا توفّره من عناصر تشويق و قدرة على شدّ انتباه القارئ و تعليق حواسه بما يهوّيه الرّواي. كما أنّها تمتاز عن باقي الرّوايات العربيّة الأخرى من حيث بناء الشّكل الفنيّ، و ذلك من خلال البراعة التي كشفت عنها اللّغة السّردية للرّواية. حيث أن الرّواية تنطلق من حدث بسيط إلاّ أنّ السّرد ما يلبث أن يتقدّم حتىّ يقوم بإحداث بتشكيلات دراميّة في بنية الحدث ممّا جعل الرّواية لا تتّبع سياقاً زمنياً منتظماً ليجد القارئ نفسه في آن واحد أمام عدّة أحداث، و عدّة أزمنة و هكذا يتداخل زمن الحدث و زمن السّرد ويتماثلان إلى درجة التّماهي وهذه الطريقة في البناء الفنيّ مستعارة من الإخراج السينمائي إذ سبق للطيب صالح أن عمل بالإذاعة في قسم الإخراج السينمائي . وهذه الرّواية مبنية بطريقة تهدف إلى إثارة الالتباس لدى القارئ و تأجيج نار الصّراع في الرّواية إلى الدّرجة التي ينتقل فيها عدوى القلق و افتقاد الأجوبة إلى داخل عدد من شخصياتها المركزيّة ، وإذا نظرنا إلى العلاقة القائمة بين العنوان و النّمو السّردي للنّص ، لوجدنا أن ال رّواية تشتغل على عتبة العنوان ، " من

---

[10] الرواية ، 76.

[11] الرواية ، 44.

حيث جعله مكتنزاً بالإيحاءات ممّا عبر التّحفيز عالٍ لاستكمال النّص لمدّ العنوان بمكّناته الدّلالية التي سترسم مسارات سرديّة متداخلة وهي وحدها التي تشبّع مداه التّأويلي فكانت جملة تلك المسارات لتنميّة ديناميّة نواة العنوان " [12] ، " والعنوان يحيل على مرجعيّة النّص ويحتوي النّص الرّوائي بكلّيته وعموميّته ، كما أنّه يتضمّن النّص الرّوائي بأكمله بالقدر نفسه الذي يتضمّن به النّص الرّوائي العنوان " [13].

تبدأ رواية الطيب صالح هذه **" موسم الهجرة إلى الشمال "** بداية هادئة لكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وهي بصوت الرّاوي لا بصوت مصطفى سعيد حيث يصف هذا الرّاوي المشارك رحلة عودته إلى الوطن من بعثته في لندن حيث درس الشّعر الانجليزي ، ونال درجة الدّكتوراه ، ووجد كلّ شيء على حاله في قريته التي تركها في أحضان النّيل جنوب الخرطوم . الأهل ، و الشّمس ، والنّهر ، وشجرة الطّلع ، والجد الذي اقترب من التّسعين برائحته الغريبة التي هي خليط من رائحة الضّريح الكبير في المقبرة و رائحة الطّفل الرّضيع ، وصديق الطفولة محجوب المزارع . و الشيخ طه و ود الريس صديق جدّه الذي بلغ السّبعين ، وتزوج خمس نساء وصار لأحفاده أولاد ، ومازال قوي الهمّة يبحث عن أرملة أو ثيّب . وبنت مجذوب ، وهي امرأة طويلة تقارب السّبعين ولا تزال فيها بقايا جمال ، وكانت تدخن السّجائر وتشرب الخمر وتحلف بالطّلاق ، كأنها رجل فيتسابق الرّجال و النساء لسماع حديثها لما فيه من جرأة وعدم تحرّج .

الرّ اوي هنا وجد كلّ شيءٍ على حاله ، باستثناء أنّه رأى رجلاً بين مستقبليه لم يعرفه ،"**رجل ربعة القامة ، في نحو الخمسين أو يزيد قليلاً ، شعر رأسه كثيف مبيضّ ، ليست له لحية وشاربه أصغر قليلاً من شوارب الرّجال في البلد ، رجل وسيم .وقال أبي : (هذا مصطفى) ، غريب جاء منذ خمسة أعوام ، اشترى مزرعة وبني بيتاً وتزوج حسنة بنت**

---

[12] نصيرة لكحل ، شعرية العتبات في النص الموازي ، صص 107-108.

[13] جميل حمداوي ، السيميوطيقا و العنونة ، مجلة عالم الفكر ، العدد 03، المجلد 25، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت ، مارس ، 1997، ص 109.

محمود ... رجل في حاله لا يعلمون عنه الكثير "[14].مصطفى سعيد ، رسول العاصفة ،

وبطل الرّواية أو بطلها الآخر ، أو بطل الرّواية الأخرى ، فهذه الرّواية هي تروي روايتين أو حكايتين في رواية واحدة . وقد بدأت الرّواية بحكاية الرّاوي التي ما كادت تبدأ حتى انقطعت فجأةً ، لتبدأ حكاية هذا الغريب المهاجر الذي أثار فضول الرّاوي ، وحمله وحملنا معه إلى تاريخه الضّبابي البعيد ، ننقّب في أوراقه وصوّره ، ونق لّ ب في ذكرياته الأليمة الدّامية . إنّه رجل غامض حتىّ بالنّسبة إلى نفسه ، لا يعرف عن أبيه الذي مات قبل أن يولد إلاّ أنّه كان يتاجر في الإبل ، ولم يكن له إخوة فعاش وحيداً يتيماً في ضواحي الخرطوم مع أمّه التي كانت بعيدةً عنه كامرأة غريبة **" حي ن أرجع الآن بذاكرتي ، أراها بوضوح ، شفتاها الرّقيقتان مطبقتان في حزم وعلى وجهها شيءٌ مثل القناع لا أدري. قناع كثيف، كأنّ وجهها صفحة بحر، هل تفهم ؟ .ليس له لونٌ واحد بل ألوانٌ متعددة ، تظهر وتغيب و تتمازج . لم يكن لنا أهل ، .كنّا ،أنا وهي ، أهلا بعضنا لبعض .... لم نكن نتحدّث كثيراً ، وكنت ، ولعلّك تعجب ، أحسّ إحساساً دافئاً بأنّني حر ، بأنّه ليس ثمّة مخلوق أبٌ أو أم ، يربطني كالوتد إلى بقعة معينة ومحيط معين "**[15] .

ولهذا السّبب استجاب للرّجل الذي جاء على فرس في لباس رسمي والقبعة على رأسه يعرض عليه أن يذهب معه إلى المدرسة ، فوافق ومضى مع هذا الرّجل الذي أردفه على الفرس خلفه وكان قراره هذا أوّل خطوة يخطوها في الطريق التي رسمها لنفسه .

كانت له مقدرة عجيبة في الحفظ و الاستيعاب والفهم ، فطوى سنوات الدّراسة الأولى في الخرطوم ، و أصبح يتحدّث الانجليزيّة بطلاقة أهّلته للحصول على منحة واصل بها دراسته الثّانوية في القاهرة ، ثم حصل على منحة أخرى ليكمل دراسته في جامعة لندن ، آخر محطة في طريقه إلى الشّمال ، حيث انعقدت خيوط المأساة .

و من هنا يبدأ عنوان الرّواية بالتّكشّف و يظهر مدى تطابقه مع مضمون النّص وذلك من خلال رحلة مصطفى سعيد التي بدأت بهجته إلى مصر ثم إلى لندن وهنا مر بط

---

[14] ينظر :الرواية ، صص 06-07.

[15] ينظر : الرواية ، صص 27-28.

الفرس وهو الهجرة التي بدأت أولاً من مصر كما ذكرنا سابقا حيث كان بانتظاره "

مستر روبنسن وزوجته " وقام بمصافحته ، ثم قدّمه إلى زوجته . وفجأةً يقول مصطفى سعيد " **أحسست بذراعي المرأة تطوّقانني ، وبشفتيها على خدي . في تلك اللّحظة و أنا واقف على رصيف المحطّة ، وسط دوّامة من الأصوات و الأحاسيس ، وزندا المرأة ملتفّان حول عنقي ، وفمها على خدي ورائحة جسمها ، رائحة أوروبية غريبة ، تدغدغ أنفي وصدرها يلامس صدري ، شعرت و أنا الصبيّ ابن الإثني عشر عاماً بشهوة جنسيّة مبهمة لم أعرفها من قبل في حياتي ، وأحسست ك أنّ القاهرة ، ذلك الجبل الكبير الذي حملني إليه بعيري ، امرأة أوروبية ، مثل مستر روبنسن تمام اً ، تطوّقني ذراعاها ، يملأ عطرها ورائحة جسدها أنفي ، كان لون عينيها كلون القاهرة في ذهني ، رمادياً ، أخضر يتحوّل باللّيل إلى وميض كوميض اليراعة** "[16]وظلّ في القاهرة ثلاث سنوات ، وبعد أن بلغ الخامس عشر ، قُبل في جامعة لندن فحزم أمتعته للسّفر إلى هناك وذكر أنّ حياته في القاهرة لم تكن واضحة و أنّه توجّه إلى لندن لاكتشاف آفاق جديدة غير معلومة

" وها هو دون العشرين ، شاب وسيم ، متوقّد الذّهن ، يدرس الاقتصاد السّياسي في جامعة أكسفورد، ثم يتخرّج ليعيّن محاضراً في جامعة لندن ، وهو في الرّابعة و العشرين.

ليس مصطفى سعيد وطنياً متعصباً ، ولا ثورياً متطرّفاً ،بل هو رجلٌ منكبّ على عمله، ينهل من ثقافة الانجليز، وينغمس في حياتهم يتردد على حانات تشلسي ،و أندية هامبستد ، ومنتديات بلومزبري ، يقرأ الشّعر الانجليزي و يتحدّث في الدّين و الفلسفة ، وينقد الرّسم ، ويتكلّم في روحانيات الشّرق .يفعل كلّ شيء حتىّ يُدخل المرأة في فراشه، ثم يسير إلى صيد آخر "[17]. هكذا كانت حياته الجديدة في الشّمال الذي وجد فيه إرضاء شهواته ونزواته من دون قيود تربطه وتشدّه ، في قاعة المحكمة الكبرى في لندن ، حيث وقف متّهما بقتل زوجته " **جين مورس** " واجهه الإدعا ء " **بأنّه في الفترة ما بين أكتوبر**

---

[16] الرواية ، ص 34.

[17] خالد محمد غازي ، المرجع السابق ، ص 151.

1922 و فبراير 1923 كان يعيش مع خمس نساءٍ في آن واحد ، وكان يوهم كلاً منهنّ بالزّواج ، وينتحل اسماً مختلفاً مع كلٍّ منهنّ ، فهوّ حسن ، وتشارلز ، وأمين ، ومصطفى ، ورتشارد "[18]. " كأنّ تنكّره اعتراف بحقيقةٍ يستشعرها أو خطرٍ يهدّده ، فلم يبقى له من شخصيّته القوميّة إلّا اسمه ولونه أو كأنّ نفيه لهذه الشّخصية هو الثّمن الذي يجب أن يدفعه لتقوم العلاقة بينه وبين النّساء الانجليزيات . وهو شرط حاول أن يجعله متبادلاً و يطبِقه على الطّرف الآخر فكان يحبّ من بعض عشيقاته أن يتقمّصن معه دور شهرزاد ، يركعن أمامه ،ويغسلن أقدامه ، ويرضين بأن يعاملهنّ معاملة السّيد العربي القديم لحريمه وجواريه [19]. لكن مصطفى سعيد لم يحبّ أيّاً من عشيقاته ، لأنّه كان يعلم علم اليقين أنّه قادمٌ من عالم آخر وأنّ بينه وبينهنّ عصوراً من العنف الذي صنعه الأوروبّيون ، و المستعمرون و الرّومان الغزاة ، والصليبيون ، و الانجليز ، و الفرنسيون الذي اغتصبوا ثروات الشّرق ودمروا حضارته .كان مصطفى سعيد إذاً ممزّقاً بين عالمين : الجنوب الذي يحمله في دمه ، والشّمال الذي يمارس فيه حياته وشهواته ولقد أعلن هذا التّمزق عن نفسه بعنف صارخ يوم رأى **" جين مورس "**، وهي المرأة الوحيدة التي أحبّها ، وهي أيضاً المرأة الوحيدة التي أذلّته واحتقرته ورفضت أن تستجيب لإغراءاته ، حتى إذا أمعن في مطاردتها طلبت منه أن يتزوّجها لكنّها ظلّت تتهرّب منه ، حيث أصبح يشكّ فيها فواجهها بذلك فقالت له **: افرض أنّني أخونك !** **فأجابها بأنّه سيقتلها فقالت وهيّ تبتسم ساخرةً : أنت فقط تقول لكنّك لن تفعل** ! ولكنّه فعل ذلك حقاً حيث قام بغرس خنجره في صدرها ، وأحسّ بدمها الحار يتفجر ، وهي تصرخ متوسلة :**" تعال معي . تعال. لا تدعني أذهب وحدي .وقالت لي : أحبّك – فصدّقتها . وقلت لها : أحبّك وكنت صادقاً "**[20].

---

[18] ينظر : الرواية ، ص 46.

[19] المرجع السابق ، ص152.

[20] الرواية ، ص 196.

" **جين مورس** " هي المرأة الوحيدة التيّ أحبّها وقتلها لكنّه سيدفع الثّمن ، ليس في هذه المحكمة التيّ استطاع فيها المحامون و الشّهود أن ينقذوه من حبل المشنقة ، بل في السّودان بعد أن قضيّ سبع سنوات في السّجن ، ثم يغادره ليتشرّد في أصقاع الأرض ، وأخيراً يعود إلى بلاده يبحث عن مكانٍ ينسى فيه ماضيه الذي تركه في الشّمال ويبدأ حياةً جديدة في الجنوب الذي عاد إليه ويكوّن أسرة ويتزوّج من حسنة بنت محمود وينجب ولدين ، ويستقّر في الجنوب إلى أن يموت غرقاً في النّيل . و من خلال سردنا لقصة مصطفى سعيد يتّضح لنا أنّ عنوان الرّواية يتطابق مع مضمون النّص من خلال قصة مصطفى سعيد ومن ورائه الرّاوي الذي هاجر هو الآخر إلى الشّمال من أجل إكمال دراسته هناك ، ثم يعود من جديد إلى بلده الأم السّودان (الجنوب) حيث الأهل و الأصدقاء و الأقارب ... الخ . الرّاوي ما هوّ إلاّ الوجه المكشوف لمصطفى سعيد ، كما أنّ مصطفى سعيد هو الوجه المستور للرّاوي ، وفي الرّواية أكثر من دليل على ذلك . فهما يتبادلان الظّهور على مسرح الأحداث وقد هاجر كلّ منهما إلى الشّمال وعاد إلى بلده الأم السّودان ، وأحبّ كلٌّ منهما المرأة ذاتها وانتهيا معاً في النّيل ، كلٌّ على طريقته الخاصّة .

إذن مصطفى سعيد ، ومن ورائه الرّاوي ، ومن ورائهما الإنسان العربي كلّهم يعانون من مرضٍ ألمّ بهم وهو عدوى الرّحيل ، رحيل إلى الشّمال حيث التّطور و الرّقي و التّحضر وكلّ مقوّمات الحياة الهادئة التي يفتقدونها في حياتهم السّابقة في الجنوب الذي هو أرض التّخلف و الجمود والتحجّر بالنسبة لهم . لكنّ الإنسان العربي لا يستطيع التّأقلم و العيش هناك حيث يصيبه انفصامٌ و انفصال في شخصيّته من خلال هذه المتغيّرات الجديدة على شخصيّته . وهذا ما وقع لمصطفى سعيد و الرّاوي في هذه الرّواية حيث أنّ الرّاوي وصل إلى نقطة الوسط بين الشّمال و الجنوب ، فهوّ لم يستطع العبور إلى الشّمال حيث الحضارة الغربيّة ولا العودة إلى الجنوب ، وهي نقطة الانطلاق وهي البيئة الشّرقيّة السّودانية ، وحتى إن عاد فهو لا يستطيع أن يكون مثل الجد أحمد الذي لم يعرف أوروبا مطلقاً ، وقد أصيب بعدوى حضارتين مختلفتين

في كلّ شيء فبقيّ في نقطة الوسط حيث نسمع نداء استغاثته ((**النّجدة ، النّجدة**))
حيث ينتهي موسم الهجرة إلى الشّمال . وهي دعوة من الكاتب " **الطيّب صالح** " إلى ضرورة التّمسك بالقيم و الأصالة وعدم الانبهار بأي حضارة أخرى وافدة همها خدمة مصالحها واستنزاف طاقة الأمّة وإبقاء الجهل يحيط بها من كلّ جانب ، فإذا ظهر عبقري أو متعلّم كان مجال حركته ونفعه للغرب لا للشّرق .

إذن عنوان رواية " **موسم الهجرة إلى الشّمال** " يشير و يحيل إلى حركة ذات واحدة تسير في اتجاه فضاء واحد وهو الشّمال ، ولكن إذا تجاوزنا هذه القراءة الخطيّة و اعتمدنا قراءة عموديّة تقوم على مبدأ التّداعي ، سنلاحظ أن العنوان يدعونا إلى إقامة تقابل بين الهجرة إلى الشّمال و العودة إلى الجنوب من جهة ، وبين الهجرة التي تتميّز بأنّها مؤقتة و العودة التي يمكن اعتبارها دائمة .

إنّ الرّوائ ي "**الطيب صالح** " يؤسّس انطلاقاً من هذا العنوان إلى ثلاث ثنائيات أساسيّة وهيّ :

- الشّمال في مقابل الجنوب .
- الهجرة في مقابل العودة .
- الأنا في مقابل الآخر .

من هنا يمكن اعتبار أنّ العنوان في عمقه يحيل ويشير إلى فضاء ذو بعدين متقابلين فالموسم يحيل و يشير إلى وقت محدّد وهوّ بالتّالي يعبّر عن لحظة معيّنة ومؤقتة في سيرورة أو دورة الحياة ، هذه اللّحظة هي هجرة تليها عودة ، وبالعودة تكتمل الدّائرة بحيث تصبح نقطة الانطلاق هي نفسها نقطة النّهاية ، و نقطة الوصول وما يختزله ذلك من عودة الذّات إلى أصلها و إلى الأنا .

الشّخصية الرّوائية وجدليّة العلاقة مع 3

العنوان :

يقوم العمل الفنّي للرّواية على أسس متكاملة ، من أهمّها الشّخصيّة فهيّ تُشكّل دعامة العمل الرّوائي ،وركيزة هامّة تضمن حركة النّظام العلائقي دخله ، حيث تعدّدت الكتابات حولها وذهب الأدباء والنّقاد مذاهب متباينة بخصوص بنيتها وفعاليّتها في

العمل الرّوائي . و" الشّخصية الرّوائية سواءٌ كانت إيجابيّة أم سلبيّة فهيّ التي تقوم بتحريك و تطوير الأحداث في الرّواية ، وهيّ أحد الأفراد الخياليّين أو الواقعييّن الذين تدور حولهم أحداث القصّة أو المسرحيّة "[21].وهيّ " تمثّل عنصراً محورياً في كلّ سرد ، بحيث لا يمكن تصوّر رواية بدون شخصيات ، فقد اكتسبت كلمة الشّخصيّة في الرّواية مفاهيم متعدّدة "[22]. نظراً للتّطورات التيّ شهدتها السّاحة الأدبيّة ، حيث حاول الكثير منن النّقاد و الدّارسين تناول هذا الموضوع بشيءٍ من التّفصيل و الشّرح .

" فالشّخصيّة هيّ القطب الذي يتمحور حول الخطاب السّردي وهيّ عموده الفقري الذي يتركز عليه "[23] فهي الرّكيزة الأساسيّة في العمل الرّوائي. والشّخصية في الرّواية هي عمودها المتين ، وأساسها القويم و بها يبنى الحدث ويعرف ، وهيّ عنصر فاعل في تطوّر الحكي ، فلا يمكن أن نتصوّر رواية بدون شخصيّات ، إذ تؤدي الشّخصيّة عدّة أدوار في تأسيس الرّواية وتكاملها وطريقة عرضها للأحداث ، حيث تحمل مواقف يمكن أن تبيّن المضمون الذي ترمي إليه الرّواية سواءٌ أكان أخلاقياً أو دينياً أو اجتماعياً ... الخ ،كما يمكن للشّخصية أيضاً أن تعبّر عن إيديولوجيّة الكاتب فهيّ تصوّر لنا أفكاره و مواقفه و أرائه من القضايا المتعدّدة في هذا المجتمع ، فالشّخصيّة هيّ صاحبة المقام الأوّل من بقيّة المكونات الأخرى . " فالشّخصية في الرّواية هي مرتكزها الأوّل وبؤرتها التي تتعالق بها كافّة المكونات الأخرى " [24] وهي المسؤولة عن سير الأحداث وعرض الأفكار .

إنّ مصطفى سعيد هو بطل الرّواية بلا شك ، فهوّ من الشّخصيات المعقّدة التي تكمن وراء أفعالها دوافع و انفعالات متناقضة ، وهيّ شخصيّة في تغيير وتنامٍ

---

[21] مجدي وهبة و كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية و الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ،(ط 2) ، 1984 ، ص 208.

[22] ينظر : صبيحة عودة زعرب ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، دار مجدلاوي ، عمان(ط 1) ، 2006 ، ص 117.

[23] جميلة قيسمون ، الشّخصيّة في القصّة ، مجلة العلوم الإنسانية ، قسم الأدب العربي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، العدد6 ، 2006 ، ص 195.

[24] نبيل حمدي الشاهد ، بنية السرد في القصة القصيرة ، سليمان فياض– نموذجا ، مؤسسة الوراق ، عمان – الأردن ، (ط 1 ،) 2013، ص 17.

مطرد ، في مقابل التّشخيص الاختزالي للشّخصيات الأخرى . وهو شخصيّة غامضة تثير اهتمام الجميع ، فهوّ يشكّل لغزاً مبهماً بالنسبة لهم .

حيث قال عنه والد الرّاوي حين سأله الرّاوي عنه فقال : **" ليس من أهل البلد ، لكنّه غريب جاء منذ خمسة أعوام ، اشترى مزرعةً و بنى بيتاً وتزوّج بنت محمود ... رجلٌ في حاله ، لا يعلمون عنه الكثير "**[25]

وقال عنه جدّ الرّاوي حين سأله كذلك عنه فقال : **" بأنّه لا يعلم عنه سوى أنّه من نواحي الخرطوم ، وأنّه جاء إلى البلد منذ نحو خمسة أعوام ، واشترى أرضاً تفرّق وارثوها ، ولم تبق منهم إلا امرأة فأغراها الرّجل بالمال واشتراها منها . ثمّ قبل أربعة أعوام زوّجة محمود إحدى بناته . إنّ مصطفى طول إقامته في البلد ، لم يبد منه شيء منفّر ، و إنّه يحضر صلاة الجمعة في المسجد بانتظام ، و إنّه يسارع ((بذراعه وقدحه في الأفراح و الأتراح))"**[26].

وقال عنه الرّاوي نفسه : **"رجل ربعة القامة ، في نحو الخمسين أو يزيد قليلاً ، شعر رأسه كثيف مبيضّ ، ليس له لحية وشاربه أصغر قليلا من شوارب الرّجال في البلد . رجل وسيم ، لم يغب عني أدبه الجم ، دقّقت النّظر في وجهه ، وهو مطرق ، إنّه رجل وسيم بلا شك ، جبهته عريضة رحبة ، وحاجباه متباعدان ، يقومان أهلّة فوق عينيه ورأسه بشعره الغزير الأسيب متناسق تماماً مع رقبته وكتفيه ، و أنفه حادٌ منخاراه مليئان بالشّعر ولمّا رفع وجهه أثناء الحديث ، نظرت إلى فمه وعينيه ، فأحسست يالمزيج الغريب من القوّة و الضعف في وجه الرّجل ، كان فمه رخواً ، وكانت عيناه ناعستين ، تجعلان وجهه أقرب إلى الجم ال منه إلى الوسامة . ويتحدّث بهدوء ، ولكنّ صوته واضح قاطع ، حين يسكن وجهه يقوى . وحين يضحك يغلب الضّعف على القوّة ، ونظرت إلى ذراعيه ، فكانتا قويتين ،**

---

[25] الرواية ، ص07 .
[26] الرواية ، ص 11.

عروقهما نافرة ، ولكنّ أصابعه كانت طويلة رشيقة ، حين يصل النّظر إليهما بعد تأمّل الذّراع و اليد ، تحسّ بغتة كأنّك انحدرت من الجبل إلى الوادي ."[27]

– وقال عنه محجوب وهو صديق الرّاوي :" **مصطفى رجل عميق** "[28]

– وقال عنه الموظّف المتقاعد حين التقى به الرّاوي في القطار في حديث عام جرى فيه ذكر مصطفى سعيد فوصفه بأنّه : **" أنبغُ تلميذ في فصلنا كنّا في فصل واحد ، كان أشهر طالب في كليّة غردون ، كان منعزلاً ومتعاليّاً ، يقضي أوقات فراغه وحده ، إمّا في القراءة أو في المشي مسافات طويلة ، كان نابغة في كلّ شيء ، لم يوجد شيء يستعصي على ذهنه العجيب ، قطع مرحلة التّعليم في السّودان قفزاً – كان بالفعل كأنّه يسابق الزّمن – أرسل في بعثة إلى القاهرة وبعدها إلى لندن . كان أوّل سوداني يرسل في بعثة إلى الخارج كان ابن انجلترا المدلّل وكنّا جميعا نحسده ونتوقع أن يصير له شأن عظيم . "**[29]

و الآن نورد بعض ما قاله مصطفى سعيد عن نفسه في عدة مناسبات من بينها عندما كان يخبر الرّاوي عن قصّته في حديثه عن والديه فقال : **" نشأت يتيماً ، فقد مات أبي قبل أن أولد ببضعة أشهر ، ولكنّه ترك لنا ما يستر الحال . لم تكن الحياة عسيرة عليّ وعلى أمي . حين أرجع الآن بذاكرتي أراها بوضوح ، كانت كأنّها شخص غريب جمعتني به الظّروف صدفة في الطريق ، لعلّني كنت مخلوقا غرباً ، أو لعلّ أمي كانت غريبة . لا أدري كنت . ولعلّك تعجب ، أحسّ أحساس اً دافئاً بأنّني حر ، بأنّه ليس ثمّة مخلوقٌ أب أو أم ، يربطني كالوتد إلى بقعةٍ معينة ومحيطٍ معين ، كنت أقرأ و أنام ، أخرج و أدخل ، ألعب خارج البيت ، أتسكع في الشّوارع ، ليس ثمّة أحدٌ يأمرني أو ينهاني . كنت أحسُّ بأنّني .. أنّني مختلف "**[30] ، وقال أيضاً : **"أنا جنوب**

---

[27] ينظر : الرواية ، الصفحات : 06-12-13.

[28] الرواية ، ص 18.

[29] ينظر : الرواية ، الصفحات : 65-66-67.

[30] ينظر : الرواية ، صص27-28.

يحنّ إلى الشّمال و الصّقيع" [31]. وقال أيضاً : **" أنا صحراء الظّمأ . أنا لست عطيلاً ، أنا أكذوبة . لماذا لا تحكمون بشنقي فتقتلون الأكذوبة "** [32]. وقال أيضاً : **"أنا مثل عطيل . عربي إفريقي . نعم . هذا أنا . وجهي عربي كصحراء الرّبع الخالي ، ورأسي إفريقي يمور بطفولة شرّيرة "**[33]. نلاحظ أنّ مصطفى سعيد كان يعاني من انفصامٍ في شخصيّته وهو يعاني من صراع داخلي لازمه طوال حياته ، وهذا الصّراع هو صراع بين الشّمال و الجنوب ، وهذا ما يلاحظ من خلال قراءتنا للرّواية ، ومن خلال ما قِيل عنه من قبل الشّخصيات الأخرى ، وما قاله هو عن نفسه ، فهو و بالرّغم من تفوّقه العلمي وحصوله على الدّرجة العليا وتعيينه محاضراً للإقتصاد في جامعة لندن وهو لا يزال في الرّابعة والعشرين من عمره ، و استيهابه لحضارة الغرب لكنّ هذه الحضارة حطّمت قلبه ، فهو لم يستفد من ذلك الاست يهاب الخارق ولا من ذلك المنصب الرّفيع ، لأنّه في تكوينه الرّوحي بقعة مظلمة ، بدّدت أنبل طاقة يمنحها الله سبحانه للناس ، وهي طاقة الحب . حيث انتهى به الأمر سجيناً بعد أدانته لقتل زوجته **" جين مورس "** لمدة سبع سنوات . هذه كانت نهايته هناك في الشّمال ، ثم يغادر ليتشرّد في أصقاع الأرض ، و أخيراً يعود إلى بلده الأم (السّودان) يبحث عن مكان ينسى فيه ماضيه الأليم في الشّمال . أمّا نهايته في الجنوب فكانت نهاية مأساوية حيث انتهى به الأمر غرقا في النيل ، وهذه النّهاية شكّلت لغزاً مبهماً بالنّسبة للرّاوي لم يجد له جواب وكان دائما يتساءل : هل اختار مصطفى سعيد نهايته بنفسه وذلك من خلال إقدامه على فعل الانتحار ؟ أم أنه مات غرقا في النيل في ذلك الفياضان ؟ حيث كان يقول : **"إذا كان مصطفى سعيد قد اختار النّهاية ، فإنّه يكون قد قام بأعظم عمل ميلودرامي في رواية حياته . و**

---

[31] الرواية ، ص40.

[32] الرواية ، صص43-44.

[33] ينظر : الرواية ، ص 50.

إذا كان الاحتمال الآخر هو الصّحيح ، فإنّ الطّبيعة تكون قد منّت عليه بالنّهاية التي كان يريدها لنفسه" [34].

نتقل إلى شخصيّة الرّاوي ، فقد عاد من بعثته في لندن حيث درس الشّعر الانجليزي،ونال درجة الدّكتوراه ، فوجد كلّ شيءٍ على حاله في قريه التي تركها في أحضان النّيل جنوب الخرطوم ، الأهل و الأصدقاء و الشّمس و النّهر و شجر الطّلع و جدّه الذي اقترب من التسعين ...الخ وقد تسلّم و قد تسلّم و ظيفة في وزارة المعارف . و أخذ يتردّد على القرية بين الحين و الآخر يزور أهله وينفّذ وصيّة مصطفى سعيد الذي ائتمنه على زوجته الجميلة و كلّفه بتربية ولديه من بعده . ويفاجئ بالشّيخ (ود الرّيس) ويتقدم للزّواج من حسنة أرملة مصطفى التي ترفض هذا الزّواج بإصرار،وتطلب من الرّاوي الوصي أن ينقذها منه ، بأن يوافق على أن يعقد عليها بدلاً من (ود الرّيس)، لكنّه لا يفعل لأنّه متزوج ،فيتمّ الزّواج الذي ينتهي بمأساة عنيفة.فقد ظلّت تقاوم الشّيخ المزواج الذي استبدّ به الهياج رغم شيخوخته حتى مزّق جسدها العاري بمخالبه ، و انهالت هي أيضاً على جسده فمزّقته بالسّكين .

وهنا نكتشف أن الرّاوي قد وقع في غرام الأرملة الضّحيّة فقد نزل عليه النّبأ نزول الصّاعقة ، و ها هو لا يجد إلاّ النّيل يطفئ فيه حزن هو غضبه ، حتى يتوقف في المنتصف بين الضّفتين لايدري إلى أيّهما يتّجه إلى الجنوب أم إلى الشّمال؟!

والرّاوي ليس إلّا الوجه المكشوف لمصطفى سعيد ، كما أنّ هذا هو الوجه المستور للرّاوي ، وفي الرّواية أكثر من دليل على ذلك ، فهما يتبادلان الظهور على المسرح الأحداث ،وقد هاجر كلٌّ منهما إلى الشّمال وعاد ، وأحبّ كلٌّ منهما المرأة ذاتها ، و انتهيا معاً في النّيل كلٌّ على طريقته " [35] ، ونلاحظ أنّ الرّاوائي الطّيب صالح قد رسم بطله في رجلين ،و جعل روايته حكايتين ليسلّط أحدهما على الآخر و جعل من الشّخصيّة الأولى (مصطفي سعيد) تشكّل مركز اهتمام وبحث بالنّسبة للشّخصيّة الثانية "(الرّاوي). "وربما رأينا بالمثل أن الجنوب و الشّمال في هذه الرّواية وجهان لحقيقةٍ واحدة . فالإنجليز كما قال الرّاوي مثلنا تماماً يولدون ويموتون ، يتزوجون ويربون أولادهم، وهم عموماً طيّبون.وإذا كانت "جين مورس" وهي ترمز إلى أوروبا قد

---

[34] الرواية ، ص 84.

[35] خالد محمد غازي ، المرجع السابق ، صص 154-155.

قُتلت بيد مصطفى سعيد الذي يرمز إلى الجنوب فهي المرأة الوحيدة التي أحبّها ، فإن كان قد تزوّج بعدها حسنة بنت محمود ، فقد لقّنها ما تعلّمه في الشّمال ،وهو ألاّ تساق المرأة كأنّها دابة إلى فراش رجل لا تحبه"[36]

الرّاوي و مصطفى سعيد :إذاً كما يلاحظ فالرّوائي الطّيب صالح جعل لروايته هذه بطلان رئيسيان و هما ،ومع أنّ مشاركة الرّاوي في الأحداث محدودة، ويكاد دوره في الرّواية يكون مقصوراً على حلّ لغز مصطفى سعيد و اقتفاء آثاره و الكشف عن حقيقته ، و مع هذا فالرّاوي ليس قليل الأهميّة في هذه الرّواية ،بل هو بطلها الآخر إلى جانب بطلها الأوّل مصطفى سعيد، أو أنّهما في الحقيقة وجهان لرجل واحد ، وهما يرمزان و يشران إلى الشّمال و الجنوب إلى جانب مصطفى سعيد و الرّاوي هناك شخصيّة أخرى مهمة وهي الجد أحمد الذي يرمز ويشير إلى الجنوب و هو وليد الجنوب حيث أنّه لم يعرف أوروبا مطلقاً فهوّ طاهر صافي .

حيث قال عنه حفيده الرّاي:**"حين أعانقه أستنشق رائحته الفريدة التي هي خليط من رائحة الضريح الكبير في المقبرة و رائحة الطّفل الرّضيع . وذلك الصّوت النحيل المطمئن ، يقوم جسراً بيني وبين السّاعة القلقة التي لم تتشكّل بعد ، السّاعات التي استوعبت أحداثها و مضت وأصبحت لبنات في صرح له مدلولات و أبعاد .نحن بمقاييس العالم الصّناعي الأوروبي فلاحون فقراء ، و لكنّي حين أعانق جدي أحسّ بالغنى ، كأنني نغمة من دقات قلب الكون نفسه. إنّه ليس شجرة سنديان شامخة و أرفة الفروع في أرضٍ منّت عليها الطبيعة بالماء و الخصب، و لكنّه كشجيرات السيّال في صحاري السودان،سميكة اللّحى حادة الأشواك، تقهر الموت لأنها لا تسرف في الحياة . وهذا وجه العجب،إنّه عاش أصلاً رغم الطّاعون و المجاعات و الحروب و الفساد الحكّام.وها هو ذا الآن يقترب من عامه المائة،أسنانه جميعاً في فمه ،عيناه صغيرتان باهتتان تحسب أنّهما لا تريان ولكنّه ينظر بهما في حلكة اللّيل ، جسمه الضئيل منكمش على ذاته،عظام و عروق و جلد و عضلات ،و ليست فيه قطعة واحدة من الشّحم،،يقفز فوق الحمار نشيطا،ويمشي في غبش الفجر من بيته الى الجامع**."[37]

وقال أيضاً : **"كنت أحبّ جدي، ويبدو أنّه كان يؤثرني و لعلّ أحد أسباب صداقتي معه، أنّني كنت منذ صغري تشحذ خيالي حكايات الماضي،وكان جدي يحب أن يحكي ،ولمّا سافرت خفت أن يموت في غيبتي . وكنت حين يلمّ بي الحنين إلي أهلي ، أراه في منامي**

---

[36] المرجع السابق ، ص 155.

[37] الرواية ، صص 91-92.

. قلت له ذلك ،فضحك وقال :((حدّثني عرّاف و أن ا شاب، إنّني إذا جاوزت عمر النّبوة – يعني السّتين–فإنّني س أصل المائة)). وحس بنا عمر هـ،انا وهو فوجدنا أنّه بقي له نحو اثني عشر عاما "[38].

وقال عنه مصطف ى سعيد في حواره جر ى بينه و بين الرّاو ي : **"جدك...ذاك الرّجل،ذاك الرجل..تسعون عاماً و قامته منتصبة،ونظره حادٌ،و كلّ سن في فمه، يقفز فوق الحمار خفيفا و يمشي من بيته للمسجد في الفجر ، هاه ذاك رجل"**[39]

إذن الجد أحمد هو وليد الجنوب لم يتلطّخ بجرثومة الغرب (الشّمال) فهو لم يذهب مطلقاً إلى أوروبا ولم يتأثر بعاداتهم و تقاليدهم و حضارتهم فقد كان صافياً لم يختلط بهم عل ى عكس مصطف ى سعيد و الرّاوي فهما وليد ا الشّمال و هذا الاختلاف الموجود بين مصطفي سعيد و الرّاوي ، و في مقابلهما الجد أحمد هو الفرق و الاختلاف الموجود بين الشّمال و الجنوب.

4 رحلة العبور إلى الآخر :

في البدء و قبل التّطرق إلى تبيان صور الآخر ، لا بأس إذا حاولنا استنطاق الذّات (أي الأنا) حول مبررات الذهاب إلى الهناك (أي الآخر) ، و هل صحيح أن الآخر هو شيء ضروري يجب أن تشدّ إليه الرّحال ؟ وهل هو ضروري لتأكيد هويتنا ؟ . " إنّ المتتبّ ع المصطلحي الأنا و الآخر في مفهومهما العام يجد عدّة تعريفات و مفاهيم و مفردات أخرى معبّرة عن هذه الثّنائيّة مقابلة لها (الذّات ، الغير ، الهو ...) . و إنّ تداول العلاقة بين هذين المصطلحين ، والذي أخذ ملفوظات أخرى كثنائيّة التّراث و الحداثة أو الشّرق و الغرب ...كان يشرح دائماً في إطار سياقات تاريخيّة و فكريّة مطبوعة تارةً بالإخضاع و التّبعية و تارة بالانب هـ ار و الإعجاب . ونجد هنا أن المعنى المتداول في المعاجم لا يخرج عن كون (الأنا، ضمير يعبّر عن ذات الشّخص) و

---

[38] الرواية ، صص 10-11.

[39] الرواية ، ص15.

(الآخر ، هو المقابل النّقيض ، هو الغير)[40]. ونجد بأنّ هذه الرّواية **"موسم الهجرة إلى الشمال** " من أكثر الأعمال التي تمثيلاً لهذه الثّنائية (الأنا و الآخر) . حيث أنّها تتناول بعمق جدليّة العلاقات بين الكيانات الحضاريّة المتباينة المختلفة ممثلة بصورة خياليّة ورمزيّة في شخصيّة الشّاب السّوداني الذي ذهب إلى بريطانيا للدّراسة في عشرينيات القرن الماضي ، و الذي يمثل هو نفسه بوصفه سودانياً مزيجاً للهويات و الكيانات العربيّة و الإسلاميّة و الإفريقيّة مجتمعةً معاً .

في هذا المبحث سنقتصر على رحلة مصطفى سعيد إلى الآخر أوّلاً من خلال رحلته إلى الغرب و ذلك من خلال الشّخصيات الغربيّة التي ظهرت تمثل الغرب و هي شخصيات عديدة ولكن سنكتفي بالحديث عن أهم خمس شخصيات وهي الشّخصيات النّسائية و بالتّحديد التي عرفها مصطفى سعيد .

أ الآخر الغربي :

"السّيدة روبنس: تمثل هذه السّيدة الوجه الآخر للغرب ، الوجه الإنساني الذي أغرقته مظاهر الامبرياليّة في الغرب فتوجّه إلى حيث يمكن له أن يشرق من جديد إلى القاهرة والتي تمثل الشّرق . إنّ لقاء " السّيدة روبنسن " لمصطفى سعيد و احتضانه بين ذراعيها و في بيتها ، هو احتضان الأم لولدها يؤكّد بأنّها وجه الغرب المشرق الذي هجر الغرب ليحافظ على إشراقه . ولم تكن "السيدة روبنسن " وحدها التي كانت تكن هذه المشاعر النبيلة اتجاه مصطفى سعيد ، بل كان زوجها هو الآخر يشاركها نفس المشاعر اتجاهه ،حيث نجد بأنّه كان يحسن اللّغة العربيّة و يُعنى بالفكر الإسلامي و العمارة الاسلامية . و بعد القاهرة يهاجر مصطفى نحو لندن (الآخر) التي تمتّع فيها بشهرة واسعة ، حيث وصل إلى أرقى الدّرجات العلميّة ولأصبح دكتوراً لامعاً في الاقتصاد و مؤلفاً مرموقا في الأدب ، ومدرساً فذا في الجامعة ، بلغ كلّ هذه الدّرجات

---

[40] سعاد عزيزي ، الأنا و الآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، إشراف :أ.د عبد القادر لصهب ، جامعة أبي بكر بلقايد ، ملحقة مغنية ، قسم اللغة و الأدب العربي ،2015- 2016، ص 01.

وهو لم يتجاوز سنّ الرّابعة و العرين من عمره ، ولم تقتصر شهرته على الميدان المعرفي فقط بل تعدّته إلى النّساء فقد كان زير نساء ، ففي الفترة مابين (أكتوبر 1992 و فبراير 1923) كان يعيش مع أربع نساءٍ في آن واحد وهنّ :

(**آن همند**) و (**شيلا غرينود**) و (**إيزابيلا سيمور**) و (**جين مورس**).

1 " **آن همند** " : كانت ابنة ضابط في سلاح المهندسين ، و أمها من الع وائل الثّرية في ليفربول ، وعمتما زوجة نائب في البرلمان ، قض ت طفولتها في م درسة الرّاهبات التحقت بعدها بجامعة أوكسفورد ح ي ث حيث كانت تدرس اللّغات الشّرقية ، كانت تحنّ إلى ال شّ رق ، وقد تعرّفت على مصطفى سعيد لأنّه حرّك فيها هذه المشاعر وهذا الحنين إلى الشّرق لكنّ مصطفى سعيد حوّلها إلى عاهرة في فراشه ،و في نهاية المطاف وجدوها ميّتة انتحاراً بالغاز ووجدا ورقة صغيرة باسم مصطفى سعيد مكتوب عليها عبارة "((**مستر سعيد . لعنة الله عليك**))"[41].

2 "**شيلا غرينود** ": وهي و كما جاء عنها في الرّواية "**خادمة في مطعم في سوهو ، بسيطة حلوة المبسم حلوة الحديث ، أهلها قرويون من ضواحي هل . أغريتها بالهد ايا والكلام المعسول ، والنّظرة التي ترى الشّيء فلا تخطئه . جذبها عالمي الجديد عليها ...دخلت غرف ة نومي بتولاً بكراً وخرجت منها تحمل جرثومة ال م رض في دمها** [42].

كانت تعمل خادمة مطعم بالنّهار و باللّيل تواصل الدّراسة في البوليتكنيك . كانت ذكيّة تؤمن بأنّ المستقبل للطبقة العالمة ، إنّه سيجيء يوم تنعدم فيه الفروق ويصير النّاس كلهم إخوة . كانت تقول له : "**أمي ستجن و أبي سيقتلني إذا علما أنني أحب رجلا أسود و لكنني لا أبالي** "[43].وقد أقدمت هي الأخرى على فعل الانتحار مثل ((آن همند))

---

[41] الرواية ، ص 41.

[42] الرواية ، ص 45.

[43] الرواية ، ص 166.

3 " إيزبيلا سيمور ": الاختلاف بينها و آن هيندهـ و أنّها **"كانت زوجة لجرّاح ناجح ، أماً لبنتين وابن . قضت أحد ع ش ر عاماً في حياة زوجيّة سعيدة تذهب للكنيسة صباح كلّ أحد بانتظام ، وتساهم في جمعيات البر** "[44]. و **"كانت امرأة في حدود الأربعين ، مهما حدث لها من التّجارب فإنّ الزّمن قد عامل جسدها بحنو التجاعيد الدقيقة على جبهتها و على أركان فمها لا تقول لك إنها شاخت ، بل تقول إنها نضجت** "[45]. **" لم تستطع أن تمنع السّعادة من دخول قلبها ، ولو كان في ذلك إخلال بالعرف وجرح لكبرياء زوج** "[46].

وكلّ ذلك من أجل تحقيق ملذّاتها الشّخصيّة التي لا شيء يستطيع أن يقف أمامها حتى مرضها بالسّرطان ، وقد اعترفت لزوجها بعلاقتها بمصطفى سعيد قبل موتها حيث قال :" **زوجتي كانت تعلم بأنّها مريضة بالسّرطان ، كانت في الآونة الأخيرة ، قبل موتها تعاني من حالات انقباض حادّة . قبل موتها بأيّام اعترفت لي بعلاقتها بمصطفى سعيد ، قالت إنّها أحبّته و أنّه لا حيلة لها . كانت طول حياتها معي مث ال الزوجة الوفيّة المخلصة** "[47].

4 " جين مورس ": تعتبر جين مورس الشّخصيّ ة الأهم من بين الشّخصيات النّسائيّة الأوروبيّة التي عرفها مصطفى سعيد ، وهي من بين النّساء اللّواتي يمثّلن الوجه المظلم للغرب ، ومن بين اللّواتي أقام معهن علاقة جنسيّة تمثل غزوه للغرب بسلاح الجنس لم يظهر في الرّواية وصف لسمات جين مورس و إظهارها كالأخريات ، وقد اكتفى الرّوائي الطيب صالح برسمها من خلال مطاردة مصطفى سعيد لها وردود فعلها لهذه المطاردة ، وقد دامت هذه المطاردة لمدة ثلاث سنوات واجه مصطفى سعيد جميع أصناف الإهانة و الاحتقار حيث كانت تحتقر شكله ومظهره وتقول له **" أنت بشع لم أرى في حياتي وج هـ اً بشعاً كوجهك** "[48]. وتصفه أيضاً بالوحشيّة و الهمجيّة إذ

---

[44] الرواية ،ص 167.

[45] الرواية ، ص 52.

[46] الرواية ، ص 167.

[47] الرواية ، ص 168.

[48] الرواية ، ص 40.

كانت تقول له : **" أنت ثور همجي لا يكل من الطّراد** "[49]. ولكنّها في النّهاية استسلمت لمطاردته التي لم تعرف الكلل فعبّرت عن استسلامها له فقالت له : **" إنّني تعبت من مطاردتك لي ، ومن جريي أمامك تزوّجني ، وتزوجها** "[50]. ولكنّها استمرّت باحتقارها له حتى بعد الزّواج وكانت دائماً تنظر إليه نظرة استعلائيّة تذكّره فيها دائماً بأصلها الأوروبي الأبيض مقابل أصله الإفريقي الأسود الذي كان يمثل دونيّته في نظرها ، إلاّ أنّها لم تكتفي على هذا القدر بل تعدّت كلّ ذلك بخيانتها له علناً عدة مرات وهذا ما أدى به إلى قتلها عمداً بالرّغم من كونها المرأة الوحيدة التي أحبّها وهي كذلك المرأة الوحيدة التي أهانته وعذبته حيث قال عنها : **" هذه المرأة هي قدري وفيها هلاكي ، ولكنّ الدّنيا كلّها لا تساوي عندي حبّة خردل في سبيلها . أنا الغازي الذي جاء من الجنوب وهذا هو ميدان المعركة الجليدي الذي لن أعود منه ناجياً . أنا الملّاح القرصان وجين موريس هي ساحل الهلاك ولكنّني لا أبالي "** [51]. إذن جين موريس هي الشّخصية التي تمثل الغرب الاستعماري وهي الآخر المستعمِر في الرّواية.

ب الآخر الشّرقي :

أولاً وقبل الخوض في مسألة الحديث عن الآخر في المجتمع الشّرقي لا بأس أن نتحدث أولاً عن من يكون الأنا في هذا المجتمع .هناك ثلاث شخصيّات في الرّواية تمثل الأنا في المجتمع الشّرقي في الرّواية وهي : مصطفى سعيد والرّاوي وحسنة بنت محمود .

1 " مصطفى سعيد ": إنّ شخصيّة مصطفى سعيد هي شخصيّة بالغة التّركيز و التّعقيد و إنّ فيها من الغموض ما يساعد على فهم تركيبها وتعقيدها وهذا إذا ما أخذنا في

---

[49] الرواية ، ص 44.

[50] الرواية ، ص 44.

[51] الرواية ، ص 191.

الحسبان الظّروف الاجتماعيّة ، و التاريخيّة و السّياسيّة و الاقتصاديّة ، فهي تمثل المثقّف العربي الشّرقي ، الفرد أو الشّخص في صدامه مع الغرب وثقافته وحضارته ونزعته الاستعماريّة الاستعلائيّة . وهي تمثّل كذلك الصّدام الثّقافي و الحضاري بين الشّرق و المستعمَر و الغرب المستعمِر ، فمصطفى سعيد لا يمثل نفسه فقط بل يتعدّى ذلك إلى التّركيب و التّعقيد في تمثيله للمجتمع السّوداني الإفريقي (اللّون الأسود) العربي ، المسلم الشّرقي و المنتمي إلى العالم الثّالث المضطهد و المستعمَر ، و كلّ هذه السّمات المتداخلة نجدها في شخصيّة مصطفى سعيد فهو يمثّل الشّرق بشكل عام ، و العالم العربي بشكل خاص ، في صراعه مع الغرب الإمبريالي الذي استعمر الشّرق ، ونظر إليه نظرة دونيّة ، و امتهن كرامته فحرمه حرّيته وسيادته على أرضه ، ونهب خيراته وتمتّع بها دون أن يعطي له فرصة التّمتع ولو بالشّيء اليسير من هذه الخيرات ، وهذا ما دفع مصطفى سعيد إلى الهجوم على العالم الإمبريالي في عقر داره ، وهذا الهجوم يتمثّل في الهجوم الثّقافي الحضاري سلاحه الثّقافة و الجنس و التّظليل ، هجوم يحسم الصّراع لمصلحة مصطفى سعيد و من ورائه مصلحة شعبه ووطنه . ويعود بعد ذلك مصطفى سعيد إلى وطنه ليخوض المعركة الأخرى الضّرورية مع القوالب الرّجعيّة المتسلّطة في مجتمعه ، و التي تقف حاجزاً أمام تحقيق مبتغاه ، لأنّه إذا لم يتم التّخلص منها فلن يتمكّن هذا المجتمع من تحقيق نصره و النّهوض من جديد ومتابعة حياته بحرّية وكرامة .

2 "الرّاوي " : الشّخصيّة الثّانية التي تمثل الأنا أمام مصطفى سعيد و الغرب من جهة ، والمجتمع العربي من جهة أخرى ، هي شخصيّة الرّاوي الذي تركه الرّوائي الطّيب صالح مغيّب الاسم ، فإنّ فيه من مقومات التّماهي مع شخصيّة مصطفى سعيد الشّيء الكثير بحيث يمكنّنا ذلك من النّظر إليه على أنّه امتداد لمصطفى سعيد ويظهر ذلك من خلال قوله : **" إنّني أبتدئ من حيث انتهى مصطفى سعيد "**[52]، وكذلك من

---

[52] الرواية ، ص 160.

خلال إطلاع مصطفى سعيد للرّاوي من بعده :" **إنّني أترك زوجتي وولديّ وكلّ مالي من متاع الدّنيا في ذمّتك، وأنا أعلم أنّك ستكون أميناً على كلّ شيء** "[53]

3 "حسنة بنت محمود" : تعتبر حسنة بنت محمود الوجه المشرق في الصّراع داخل المجتمع السّوداني الإفريقي العربي أو الشّرقي ، فهيّ الوجه الذي رفض الظّلم والظّلام ورفضها للقوالب الاجتماعيّة و الثّقافيّة الثّابتة ، حيث حاولت تغييرها فدفعت الثّمن غالياً ، ولكن عن إيمان ورغبة بدفع ذلك الثّمن لكسر تلك القوالب ، مفضّلة ذلك على الرّضوخ لتلك القوالب و الاستسلام لها ، ويظهر ذلك من خلال رفضها الزّواج من "ود الرّيس "حيث كانت النّهاية مأساويّة انتهت بقتل حسنة لود الريس و انتحارها بعد ذلك .

إذن هناك ثلاث شخصيات في الرّواية تمثل الأنا في المجتمع الشّرقي و هي : (**مصطفى سعيد و الرّاوي و حسنة بنت محمود**). مصطفى سعيد في مواجهة الغرب ، والرّاوي في مواجهة مصطفى سعيد والغرب من جهة ، ومجتمعه من جهة أخرى ، و أخيراً حسنة بنت محمود في مواجهة مجتمعها . ننتقل الآن إلى الآخر الشّرقي وما هي الشّخصيات التي تمثله ؟. إذا كان مصطفى سعيد و الرّاوي وحسنة بنت محمود يمثلون الأنا ، كما أسلفنا في المجتمع السّوداني و إذا كان مصطفى سعيد قد استطاع غرس بذرة العنف و التّمرد في كلٍّ من حسنة و الرّاوي ، فقد جاء الصّدام عنيفاً بينهما و بين الآخر المتمثّل في عدة شخصيّات نكتفي بذكر اثنين منها هما : **"والد حسنة "** و**" ود الرّيس** "، هذا الصّدام الذي أودى بحياة حسنة ، وكان يودي بحياة الرّاوي كذلك . حس نة وكما أسلفنا هي الوجه السّوداني المشرق الباحث عن التّغيير بالانعتاق من القيود الاجتماعية ، مات زوجها (مصطفى سعيد) حيث أصبحت أرملة من دون رجل يصونها ويحفظ كرامتها ، وفي عرف المجتمع المتخلّف لا بد لها أن تتزوّج بعد موت زوجها لأنّ النّاس لا يتركون المرأة الأرملة و شأنها فتصبح عرضةً لكلامهم في أيّ تصرف من تصرّفاتها فتس يء بذلك لشرفها وشرف أبيها أ ي شرف المجتمع .خرجت حسنة عن هذا المألوف و ذلك من خلال رفضها لود الرّيس الذي جاء طالباً إياها

---

[53] الرواية ، ص 82.

لل زّواج ، و ثانيا محاولتها اختيار عريس لها وهو الرّاوي وهذا ما أدّى بها إلى مواجهة هذه القوالب المتمثلة في :

أوّلاً " والدها " : الذي يعدّ صاحب القرار و المتحكّم في مصيرها ، وهي لا تستطيع أن تعصي له أمراً ، حيث **" شتمها و ضربها و قال لها : تتزوجينه رغم أنفك "** [54]. وقال أيضاً بأنّه **" لا يصبح أضحوكة ، يقول النّاس ابنته لا تسمع كلامه "**[55].

ثانياً : " ود الرّيس " : الذي أصرّ على الزّواج منها **" كأنما أصابه هوس "**[56] بالرّغم من استمرارها بالرّفض له ،لكنّه بقي على رأيه حتى استسلمت لهذه القوالب والعادات السّيئة وتزوجته .وهنا وقعت المأساة الحقيقيّة وهي إقدام حسنة على قتل ود الرّيس وانتحارها من بعده .

ليس هناك الكثير مما يمكن قوله عن الآخر في المجتمع السّوداني المتمثل في **"والد حسنة وود الرّيس** " اللّذين يمثلان بشكل صارخ التّخلف والتّحجّر الفكري الاجتماعي و ذلك من خلال تصرفهما مع حسنة ووقوفهما حاجزاً أمام طموحاتها وذلك ما دفع بها إلى قتل ود الرّيس وانتحارها .

وخلاصة القول إنّ الطّيب صالح في روايته هذه **"موسم الهجرة إلى الشّمال "** أظهر وعياً شموليّاً لمشاكل المجتمع العربي وقضاياه المختلفة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وتاريخياً ، وخاصّةً في علاقاته الإشكاليّة مع الآخر وخاصة الآخر المتمثّل بالغرب الاستعماري .

5 رحلة العودة :

بدأ الرّوائي الطّيب الصالح روايته هذه بفعل العودة وذلك في قوله على لسان الرّاوي : **" عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبةٍ طويلة ،سبعة أعوامٍ على وجه التّحديد ، كنت خلالها**

---

[54] الرواية ، ص 147.

[55] الرواية ، ص 148.

[56] الرواية ، ص 148.

أتعلّم في أوروبا . تعلّمت الكثير وغاب عنّي الكثير ، لكن تلك قصّة أخرى .المهم أنّني عدت و بي شوق عظيم إلى أهلي"[57].

نلاحظ هنا أن الطّيب صالح قد افتتح روايته بالإشارة إلى فعل العودة إلى أهل ، الذي يكرّره مرّتين وذلك من أجل تقويّته وتأكيده ، فهو يعود ليس إلى الجنوب وإنّما إلى الأهل ، وفي هذا إشارة إلى إنّ الشّمال يرتبط في ذاكرته بمكان وفضاء معين ، في حين أنّ الجنوب أعمق من هذا بكثير ، إنّه يرتبط بالأهل ، وإذا حلّلنا هذين اللّف ظ ين فإنّه يمكن إن نقيم تقابلاً بين لفظ "شمال "، باعتباره يحمل السّمة الدّلاليّة (– حي) ولفظ " أهلي " باعتباره يحمل السّمة الدّلاليّة (+ حي) وبالتّالي فالتقابل بين الجنوب والشّمال ليس في العمق تقابلاً بين فض اءين أو مكانين أو حتى حضارتين وإنّما هو أكثر من ذلك. إنّه تقابل تنصهر فيه جملة من التّقابلات التي ي ص رّح بها الطّيب صالح منذ البداية"[58].

إنّ الرّاوي في الرّواية قد ذكر السّبب الذي دعاه إلى الهجرة إلى أوروبا وهو من أجل التّعليم، في حين أنّه لم يذكر السّبب الذي دعاه إلى العودة، وهذا يعني أنّ العودة فعل لا يحتاج إلى تبرير بينما الهجرة فعل غير عادي ولا يستقيم إلاّ إذا كان وراءه دافع قوي، لذلك نجد بأنّ الرّاوي يبادر في الصّفحة الأولى إلى ذكر السّبب الذي دعاه إلى الهجرة." تكتمل الصّورة إذا وقفنا عند البنية التّركيبيّة التي تشكل منها العنوان، حيث تم توظيف جملة اسميّة:"موسم الهجرة إلى الشّمال" ومن المعروف أنّ من سمات الجملة الاسميّة الدّلالة على الثّبات وكأنّ الرّوائي يحاول أن يقول لنا من خلال هذا التّوظيف إنّ هذه حقيقة ثابتة، ومن هنا يمكن أن نستشفّ أنّ الهجرة مرتبطة بموسم أي مدة زمنيّة محدّدة، أضف إلى ذلك أنّها فعل اضطراري لا تتدخّل فيه إرادة الفاعل على خلاف الجملة الفعليّة "عدت" فالفاعل هنا يقوم على بالوظيفة الدّلاليّة المنفّذ، والمتكلّم هو المنفّذ لفعل العودة ومحورها.

---

[57] الرواية ، ص05.

[58] ربيعة العربي ، الغيرية في الخطاب الروائي ، الطيب صالح نموذجا ،2011/12/25 ، الأدب و الفن .

إنّ فعل العودة يتكرّر في الرّواية وبصيغ وأشكال مختلفة، فالرّاوي يختار العورة ، و مصطفى سعيد أيضاً يختار العودة . إنّ العودة لازمة تتحكّم في البنية المعرفيّة للرّواية وتحدد معماريّتها من جهة ورؤيتها للآخر من جهة أخرى ، لذلك نجد أنّ الطّيب صالح ينهي بها الرّواية ولو بصيغة تختلف عن الصيغة التي وظّفها في بداية الرّواية"[59].

إنّ فعل العودة الذي سجل حضوراً قوياً في مقدّمة الرّواية باعتباره فعلاً حتمياً وطبيعياً أصبح في خاتمة الرّواية موضع شكٍ وحيرة وتساؤل، فنرى أنّ الرّا وي قد أصبح موزعاً بين فعل العودة والهجرة بين الشّمال والجنوب. حيث نلاحظ أن كلا الفضاء ين يتجاذبانه، فهوّ يريد التّوجه نحو الشّمال وهذا ما جاء ذكره في الصّفحة 198 على لسان الرّواي: **"ومضيت أسبح وأسبح وقد استقرّ عزمي على بلوغ الشّاطئ الشّمالي. هذا هوّ الهدف** "[60]. غير أنّه ما يلبث أن يعتريه شكٌ في هذا الهدف كما نقرأ في الصّفحة المواليّة 199: **" تلفّت يمنة ويسرة فإذا أنا في منتصف الطّريق بين الشّمال والجنوب. لن أستطيع المضيّ ولن أستطيع العودة** "[61]. و يبلغ هذا التّردد درجاته القصوى في تمزّق الأنا بين هذين الفضاءين في آخر جملة ختم بها الطّيب صالح روايته في الصّفحة 200: **" وبكلّ ما بقيّت لي من طاقةٍ صرخت، وكأنّني مثل هزلي يصبح في مسرح: ((النّجدة. النّجدة))** "[62].

" إذا كان فعل العودة قد تكرّر مرتين في بداية الرّواية، فإنّ طلب النّجدة تكرر أيضا مرتين. إنّ فعل العودة في بداية الرّواية فعل اختياري أما نهاية الرّواية فهوّ فعل اضطراري يمليه الواجب. في بداية الرّواية لم يحتج الرّواي لأن يعلّل عودته، أمّا في النّهاية فهو

---

[59]. المرجع السابق .

[60]. الرواية ، ص 198.

[61]. الرواية ، ص 199.

[62]. الرواية ، ص 200.

مضطرّ على الأقل، أمام نفسه للبحث عن مبرّرات لكي يقنع نفسه بضرورة العودة"[63].

وهذا ما جاء في الصّفحة 200 من الرّواية: **" إنّني أقرر الآن أنّني أختار الحياة سأحيا لأنّ ثمّة أناسٌ قليلين أحبّ أن أبقى معهم أطول وقت ممكن ولأنّ عليّ واجبات يجب أن أؤديها "**[64].

هذا عن عودة الرّاوي ،أمّا عن عودة مصطفى سعيد فهي متمثّلة في الصّدام مع الشّرق ومع المجتمع الذي ينتمي إليه وهو المجتمع السّوداني الشّرقي المتخلّف، حيث أنّ مصطفى سعيد يمثّل المثـ ق ف الشّر قي الذي يبدأ مشروعاً تقدّمياً فكرياً وثقافياً فيصطدم داخل مجتمعه بالقوالب الثّابتة اجتماعياً كانت أو دين ياً ، والتي تعارض المشروع وتعمل على هدمه.

يعود مصطفى سعيد إلى وطنه من الغرب تاركاً وراءه توتّره وتناقضاته هناك وربّما ساعده في ذلك تشرّده بعد السّجن. ولكنّه لم يترك رغبته في التّمرّد. بل على العكس فإنّ عودته كانت من أجل هذا الهدف، أي نقل بذرة التّمرّد إلى المجتمع السّوداني أو إلى من يستطيع حملها فيه. وقد وجد ضالته في زوجته "حسنة بنت محمود" وفي "الراوي".

في الغرب تعامل مصطفى سعيد مع النّاس والأشياء بعقلانيّة بلغت حدّ الجفاف، فقد جاء للغرب بهذا الشّكل أصلاً، وهذا ما يبدو واضحاً في قوله : **"وانطلقت بعد ذلك لا ألوي على شيء. عقلي كأنّه موسى حادّة، تقطع في برود وفعاليّة "**[65].

وفيما قالته عن هـ السّيدة "روبنسن" :**" أنت يا مستر سعيد إنسان خالي تماماً من المرح ... ألا تستطيع أن تنسى عقلك أبدا "**[66].

---

[63] ربيعة العربي ، المرجع السابق .

[64] الرواية ، ص 200.

[65] الرواية ، ص 30.

[66] الرواية ، ص 34.

هذا الأمر أثار شكوك الرّاوي وحقده نحوه، فيما كان الرّاوي يتعامل مع النّاس والأشياء بعاطفة ملتهبة منذ لحظة وصوله إلى الوطن ولقائه لأهله وناسه وأرضه. "ولكنّ الرّاوي اكتشف علاقته بالحياة من خلال عقلانيّة مصطفى سعيد الممتزجة بعاطفته، وقد بدت كلٌّ واحدة مدمرة إذا علمت بانفراد عن الأخرى، ما يعنى أن الرّاوي قرّر ترشيد عواطفه بعقلانيّة مصطفى سعيد وترشيد عقلانيّة مصطفى سعيد بعواطفه. امتزاج العقل بالعاطفة" [67]. ويبدو ذلك واضحاً في حوار الرّاوي مع نفسه في نهاية الرّواية وكما أسلفنا ذكره من قبل حيث قال " **إنّني أقرّر الآن أنّ ني أختار الحياة. سأحيا لأنّ ثمة أناس قليلين أحبُّ أن أبقى معهم أطول وقت ممكن ولأنّ عليّ واجبات يجب أن أؤديها** "[68].

إذاً وكما أسلفنا ذكره فإنّ مصطفى سعيد وجد ضالته في زوجته حسنة بنت محمود وفي الرّاوي. وذلك من خلال غرس روح التّمرد والتّحرر من القوالب والعادات والتّقاليد التي تمثل التّخلق في هذا المجتمع. "إنّ علاقة مصطفى سعيد بحسنة تأتي موازيّة لعلاقته في الغرب، فقد أحبّته حسنة حباً مبنياً على الاقتناع والمساواة والرّغبة الصّادقة في إقامة علاقة إنسانيّة صحيحة، ومصطفى سعيد في علاقته هذه إنسان معشوق حقيقي بسبب صفاته الأصليّة، مثل ذكائه وعمق شخصيّته ، وحبّه للقرية، وقدرته على العمل والإنتاج، إنّه ليس ما كان عليه في أوروبا: حيواناً عنيفاً متوحشاً تجري وراءه الفتيات لغرابته وشذوذه ، إنّه هنا إنسان طبيعي. ولقد أثمرت هذه الع لاقة إذ أنجبت حسنة طفلين، بخلاف علاقاته في لندن التي لم تثمر شيئاً، وهذا معناه أن الجنس وحده ليس كافياً لإنجاح العلاقة بل لابدّ من روابط إنسانيّة طبيعيّة ، والإنجاب دليل قاطع على صحّة العلاقة" [69]. لقد أثّر مصفى سعيد في حسنة بنت محمود لدرجة أنّها أصبحت معه كأنّها شخص آخر، كما أنّه أخلص في حبّه لها ، فأخلصت هيّ لذكراه بعد وفاته

---

[67]. محمد هيبي ، الأنا و الآخر في رواية موسم الهجرة إلى الشمال ، 16 أكتوبر 2010 ، ديوان العرب .

[68]. الرواية ، ص 200.

[69]. محمد رشيد ، رواية "موسم الهجرة إلى الشمال " للطيب صالح ، 30نوفمبر 2010، ديوان العرب .

وحين أراد " ود الرّيس " الزواج منها تماشياً مع مبدأ استعباد المرأة القائم في القرية، رفضت حسنة الارتباط به، لأنّها كانت قد وضعت حداً لتخلّف بنات جنسها، بحكم علاقتها م ع مصطفى سعيد ولأنّها كانت تسعى إلا تحطيم جدار التّقاليد الموروثة التي كانت تكبّل مجتمع السّودان و تغو ص به في أعماق الجهل و التّخلف الفكري، وحين أجبرت على الزّواج من " ود الرّيس " الذي يمثّل الجانب المتخلّف في الذّات السّودانيّة قامت بقتله لأنّه أراد أن يسلبها إنسانيّتها وطموحها المتولّد من علاقة ساميّة مكتملة يسودها الوفاء والتفاهم.

أما عن انتحارها فينطوي تحت رفضها لمعطيات مجتمع أدانها بقسوة و رأى تصرفاتها شنيعة لا تغتفر.

خاتمة

لكلّ بداية نهاية و ها نحن ذا نضع اللّمسات الأخيرة لهذا البحث و لا يسعني في الأخير إلّا أن أقدّم جملة لأهم النّتائج المتحصّل عليها من خلال بحثي هذا و المعنون ب : **عتبة العنوان و علاماته الدّ لاليّة – مقاربة سيميائية في رواية موسم الهجر ة إلى الشّمال –** و المتمثّلة فيما يلي :

1 يعدّ العنوان العتبة الأولى التي يتمّ من خلالها التّواصل مع الق ارئ و هو المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النّص وتسهيل مأمورية الدّخول في أغواره وتشعباته الوعرة.

2 نلاحظ من خلال عنوان رواية " موسم الهجرة إلى الشّ مال " أنّ هناك صراع و اصطدام بين الشّمال والجنوب ، بين حضارة التّمدن والرقي التي يمثلها عالم الشّمال وبين حضارة التّخلف والجمود والتي يمثلها عالم الجنوب.

3 إنّ الصّورة الفوتوغرافية الم ثبتة على غلاف الرّواية تعتبر وسيلة اتّصالية لأنّها تسجل الحقائق و تضمن لها الديمومة والاستمراريّة في سياق تداولي عام ، كما أنّها تتميّز بوظيفة إيحائية وذلك عبر ازدواجية الرؤية .

4 إنّ الرّواية تتكون من فسيفساء من الألوان المتداخلة فيما بينها وهي تمثل المشهد السّردي من أوله إلى آخره .

5 تعتبر الرّواية تجسيداً للعلاقة المتوترة بيننا وبين الغرب وهي علاقة مبنية على العنف الدّموي الذي لا ينتهي إلا بأن يقهر أحدهما الآخر.

6 لقد استطاع الرّ وائي الطّيب صالح أن يجسّد الصّراع الحضاري القائم بين الشّرق و الغرب في روايته من خلال مصطفى سعيد الذي يمثّل الشّرق حيث أخذ ينتقم من الغرب عن طريق نساء أوروبا الحسناوات .

7 من خلال سردنا لقصة مصطفى سعيد يتّضح لنا أنّ عنوان الرّواية يتطابق مع مضمون النّص من خلال قصة مصطفى سعيد ومن ورائه الرّاوي .

8 إنّ الرّاوائي الطّيب صالح قد رسم بطله في رجلين ، و جعل روايته حكايتين ليسلّط

أحدهما على الآخر و جعل من الشّخصيّة الأولى (مصطفي سعيد) تشكّل مركز اهتمام وبحث بالنّسبة للشّخصيّة الثانية "(الرّاوي).

9 تعتبر الرّواية من أكثر الأعم ال تمثيلاً لثلاثيّة (الأنا و الآخر) . حيث أنّها تتناول بعمق جدليّة العلاقات بين الكيانات الحضاريّة المتباينة المختلفة ممثلة بصورة خياليّة ورمزيّة في شخصيّة الشّاب السّوداني.

10 لقد أظهر الطّيب صالح في روايته هذه وعياً شموليّاً لمشاكل المجتمع العربي وقضاياه المختلفة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وتاريخياً ، وخاصّةً في علاقاته الإشكاليّة مع الآخر وخاصة الآخر المتمثّل بالغرب الاستعماري .

11 إنّ فعل العودة الذي سجل حضوراً قوياً في مقدّمة الرّواية باعتباره فعلاً حتمياً وطبيعياً أصبح في خاتمة الرّواية موضع شكٍ وحيرة وتساؤل، فنرى أنّ الرّا وي قد أصبح موزعاً بين فعل العودة والهجرة بين الشّمال والجنوب.

ملحق

الطيب صالح

موسم الهجرة إلى الشمال

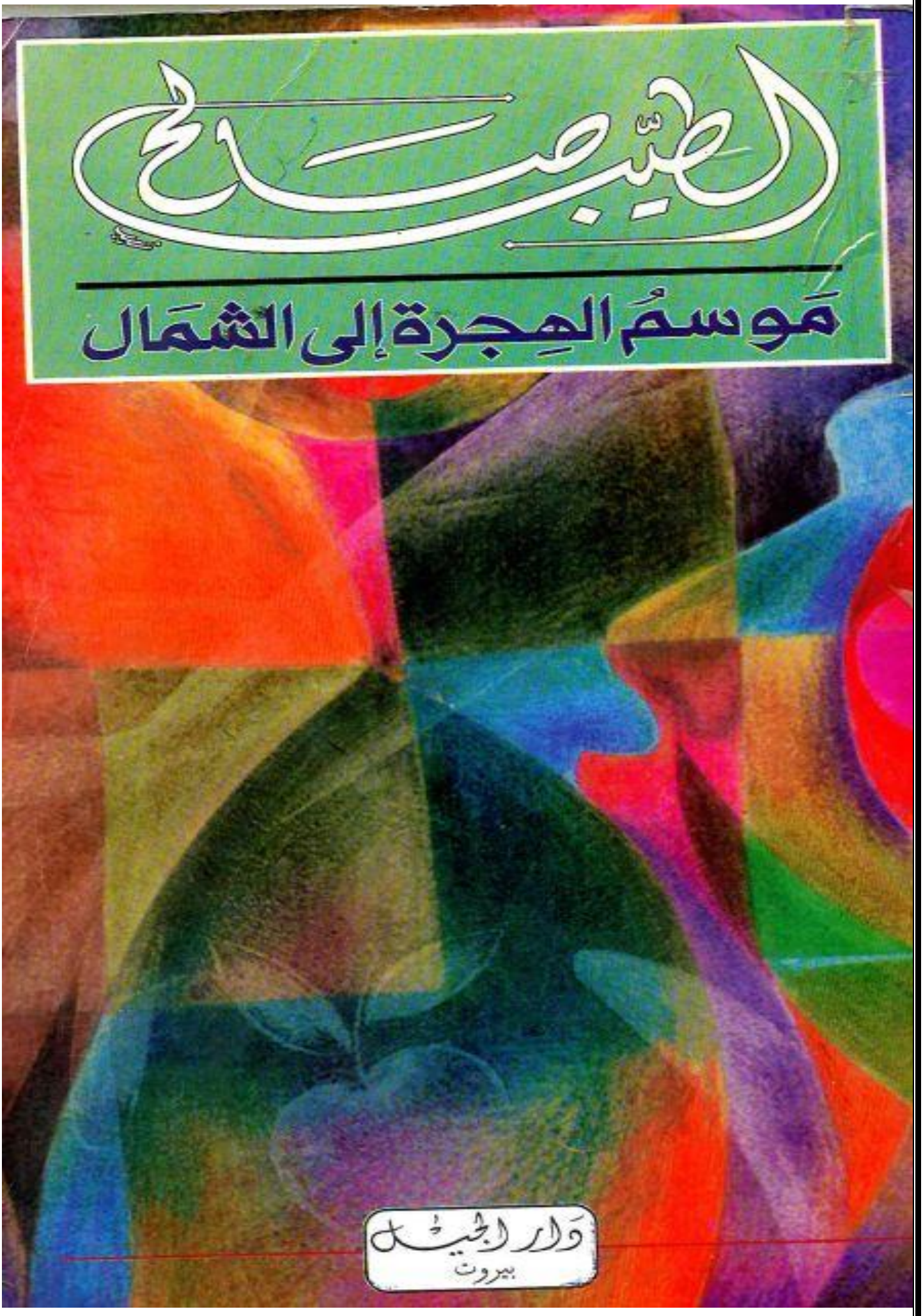

دار الجيل
بيروت

الطيب صالح

موسم الهجرة إلى الشمال

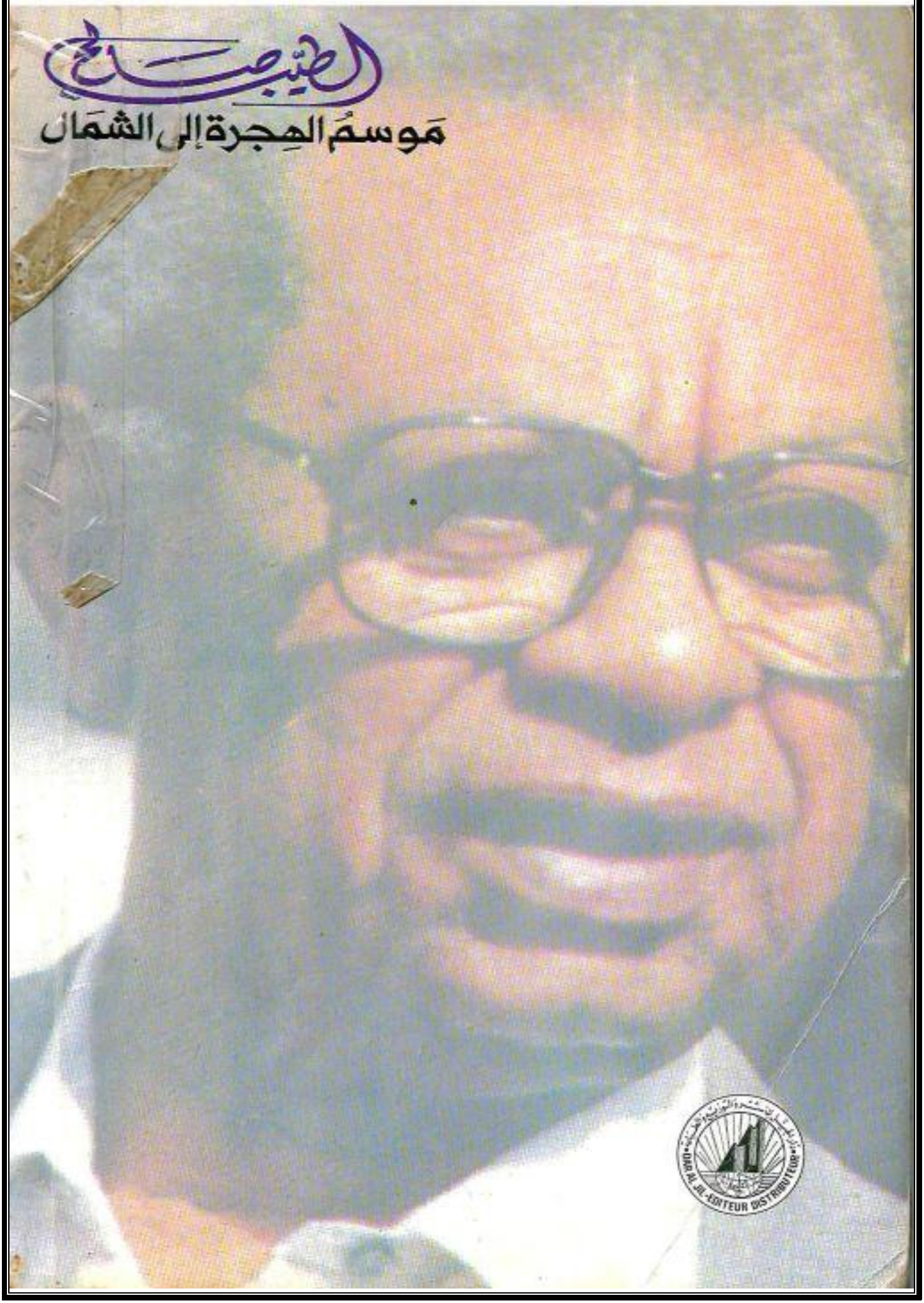

الملخص

إنّ العنوان هو العتبة الأولى التي يتمّ من خلالها التّواصل مع الق ارئ ، وهو دعوة مباشرة إلى القيام بفعل القراءة ، ومن ثمة فعل التأويل ، ويمكن عدّ العنوان مؤشر اً على البنية المعرفيّة العامّة للنّص، وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النّص وتسميه وتميّزه عن غيره ، وهو كذلك مع العناصر المجاورة والمحيطة بالنّص الرّئيس إلى جانب الحواشي والهوامش والمقدّمات والمقتبسات و الأدلّة الأيقونيّ ة. و عنوان روايتنا **"موسم الهجرة إلى الشّمال للأديب السّوداني الطّيب الصالح** " يحي ل و يشير إلى حركة ذات واحدة تسير في اتجاه فضاء واحد وهو الشّمال لكن إذا تجاوزنا هذه القراءة الخطيّة واعتمدنا قراءة عموديّة تقوم على مبدأ التّداعي، سنلاحظ أن العنوان يدعونا إلى إقامة تقابل بين الهجرة إلى الشّمال والعودة إلى الجنوب من جهة ، وبين الهجرة التي تتميز بأنها مؤقتة والعودة التي يمكن اعتبارها دائمة.

و تعتبر الرّواية من الرّوايات التي انتشرت واشتهرت كثيراً على المستوى العربي وال غربي فهذه الرّواية، ترجمت إلى كثير من اللّغات الأجنبية، كما أُعتمد تدريسها في بعض الجامعات العربية. و هي تهتم بالصّراع بين الشّرق و الغرب، و ذلك لكونها أثارت جملة من القضايا الهامّة كقضيّة الهجرة و فقدان الهويّة و رفض الآخر ، فالرّواية تتأسّس في مجملها على التّقابل بين الأنا و الآخر، حيث يرمز الآخر إلى ثقافة الغرب و حضارته التي تجد أبرز تجسيداتها في المرأة الغربيّة .

إنّ المرأة هي المعيار الذي يتمّ عبره معاينة البعد الحضاري الإنساني، لذلك نجد الخطاب الرّوائي عند الطّيب صالح يستحضر الحضارة الغربيّة و الحضارة الشّرقيّة و يقيم تقابلاً بينهما بتوظيف هذا المعيار، ليثير من خلال هذا التّقابل إشكال الهويّة بوصفه إشكالاً محدداً للإنسان السّوداني و مشخصاً لوعيه بذاته و وعيه أيضاً باختلافه .

إنّ الرّوائي " **الطيّب صالح** " من خلال عنوانه يؤسس إلى ثلاث ثنائي ات أساسية وهي :

* الشّمال في مقابل الجنوب .

*الهجرة في مقابل العودة .

*الأنا في مقابل الآخر .

و من هنا يمكن اعتبار أنّ العنوان في عمقه يحي ل إلى فضاء ذو بعدين متقابلين، فالموسم يشير إلى وقت محدّد ، وهو بالتّالي يعبّر عن لحظة معينة ومؤقتة في صيرورة أو دورة الحياة ، هذه اللّحظة هي هجرة ، تليها عودة ، وبالعودة تكتمل الدّائرة ، بحيث تصبح نقطة الانطلاق هي نفس ها نقطة النّهاية وما يختزله ذلك من عودة الذّات إلى أصلها و إلى الأنا . و نلاحظ أ نّ بطل الرّواية مصطفى سعيد ، ومن ورائه الرّاوي ، ومن ورائهما الإنسان العربي كلّهم يعانون من مرضٍ ألمّ بهم وهو عدوى الرّحيل ، رحيل إلى الشّمال حيث التّطور و الرّقي و التّحضّر وكلّ مقوّمات الحياة الهادئة التي يفتقدونها في حياتهم السّابقة في الجنوب ، الذي هو أرض التّخلف و الجمود والتحجّر بالنسبة لهم .لكنّ الإنسان العربي لا يستطيع التّأقلم و العيش هناك حيث يصيبه انفصامٌ و انفصال في شخصيّته من خلال هذه المتغيّرات الجديدة على شخصيّته . وهذا ما وقع لمصطفى سعيد و الرّاوي في هذه الرّواية حيث أنّ الرّاوي وصل إلى نقطة الوسط بين الشّمال و الجنوب ، فهوّ لم يستطع العبور إلى الشّمال حيث الحضارة الغربيّة ولا العودة إلى الجنوب ، وهي نقطة الانطلاق وهي البيئة الشّرقيّة السّودانية ، وحتى إن عاد إليها فهو لا يستطيع أن يكون مثل الجد أحمد الذي لم يعرف أوروبا مطلقاً ، وقد أصيب بعدوى حضارتين مختلفتين في كلّ شيء فبقيّ في نقطة الوسط حيث نسمع نداء استغاثته في آخر الرّ واية ((**النّجدة ، النّجدة**)) حيث ينتهي موسم الهجرة إلى الشّمال وهي دعوة من الكاتب " **الطيّب صالح** " إلى ضرورة التّمسك بالقيم و الأصالة وعدم الانبهار بأي حضارة أخرى وافدة همّها خدمة مصالحها واستنزاف طاقة الأمّة وإبقاء الجهل يحيط بها من كلّ جانب ، فإذا ظهر عبقري أو متعلّم كان مجال حركته ونفعه للغرب لا للشّرق .

الملخص باللغة الفرنسية

Le titre est le premier seuil par lequel le lecteur communique, c'est une invitation direct à faire l'acte de lire et puis l'acte d'interprétation, le titre peut être utilisée comme indicateur de la structure de connaissances générale du texte, et la marque qui imprime le livre ou le texte et l'appeler et le distinguer des autres, c'est aussi avec les éléments adjacents entourant le texte principal en plus les notes et les marges et l'introductions et des citations et les guides iconiques.

Et le titre de notre roman « La saison des migrations au nord de l'écrivain soudanais Etaib Saleh » fait référence à et se réfère à un mouvement en un seul mouvement en direction d'un seul espace le nord, mais si nous allons au-delà de cette lecture écrite et nous avons adopté une lecture verticale basée sur le principe de la fragmentation, on notera que le titre nous invite à établir une correspondance entre migration vers le nord et retour vers le sud d'une part, et entre migration caractérisée par le temporaire et le retour qui peut être considérée comme permanente.

Le roman est l'un des romans arabes et occidentaux les plus largement publiés et les plus connus. , Ce roman, traduit dans de nombreuses langues étrangères, aussi Enseigner dans certaines universités arabes. Il est concerné par le conflit Est-Ouest parce qu'elle soulevait un certain nombre de questions importantes telles que la migration et la perte d'identité et le rejet des autres. Le roman repose dans son intégralité sur la correspondance entre le moi et l'autre, La culture de l'Ouest et sa civilisationce que vous trouvez les points forts ses incarnations chez les femmes occidentales sont humaines On retrouve donc le discours du romancier quand Saleh Saleh évoque la civilisation occidentale et la civilisation orientale et évaluer leur interaction en utilisant cette norme, et elever à travers cette rencontre la forme de l'identité en tant que problème spécifique pour l'homme soudanais, la conscience de la personnalité elle-même et la conscience aussi différente.

Le romancier « etaibsaleh » grâce à son titre établit trois dualité de base :

* Nord contre Sud.
* Migration en échange du retour.
* L'ego contre l'autre.

À partir de là, on peut considérer que le titre dans sa profondeur fait référence à un espace à deux dimensions opposées , la saison fait référence à un moment précis, exprimant ainsi un certain moment momentané dans le processus ou le cycle de la vie, ce moment est la migration, Suivi d'un retour, En retour le cercle est complété, Alors que le point de départ est le même que le point final Ceci est réduit par le retour du moi à son origine et à l'ego.

Et notez que le protagoniste du roman Mostapha said, Et derrière lui le narrateur, Et derrière eux l'homme arabe, Tous souffrent d'une maladie qu'ils ont subie c'est l'infection de partir. Au nord où se développent et avancent et l'urbanisation et tous les éléments de la vie tranquille qui leur manquent dans leurs vies antérieures dans le sud ,qui est la terre de sous-développement et d'immobilité pour eux. Mais l'homme arabe ne peut pas s'adapter et vivre là où il souffre de schizophrénie et de séparation de sa personnalité à travers ces nouveaux changements de sa personnalité.C'est ce qui s'est passé à Mostapha Said et le narrateur dans ce roman où le narrateur a atteint le point médian entre le nord et le sud, Il ne pouvait pas traverser vers le nord où la civilisation occidentale n'était pas revenue au sud, et le point de départ est l'environnement de l'Est du Soudan, Et même s'il y retourne, il ne peut pas être comme le grand-père Ahmed, qui ne connaissait pas du tout l'Europe, Il a été infecté par deux civilisations différentes et reste au centre, Où on entend l'appel de son appel à la fin du roman ((Aide,Aide))Où la saison des migrations se termine au nord. C'est une invitation de l'écrivain « etaibsaleh » La nécessité de défendre les valeurs et l'originalité et ne pas être ébloui par aucune autre civilisation et son intérêt à servir ses intérêts et à vider l'énergie de la nation et à garder l'ignorance entourée de chaque côté,Si un génie ou un apprenant apparaissait, son champ de mouvement profiterait à l'Occident, pas à l'Orient.

قائمة المصادر و المراجع

أ – المصادر و المراجع :

1 أمبرتو إيكو ، سميائيات الأنساق البصرية : ترجمة : محمد التهامي العماري محمد أودادا ، تقديم و مراجعة : سعيد بنكراد ، دار الحوار ، سوريا ط (1) 2008.

2 ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله الكبير –محمد أمجد حسب الله– هشام محمد الشّا ذلي دار المعارف ، القاهرة ، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا ومذيلة بفهارس مفصلة 1119 هـ المجلد: 4.

3 الطيب صالح ، موسم الهجرة إلى الشمال ، دار الجيل ، بيروت ، (د ط) ، (د ت).

4 إدريس الناقوري ، لعبة النسيان –دراسة تحليلية نقدية ، الدار العالمية للكتاب الدار البيضاء– ط (1) ، 1995.

5 جميل حمداوي ، سيميوطيقا العنوان ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ،ط (1) 2015.

6 يحي حمودة ،نظرية اللون ، دار المعارف ، القاهرة.

7 مجدي وهبة و كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية و الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، (ط 2) ، 1984.

8 محمد الصفراني ، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (1950م.2005م)، المركز الثقافي العربي المغرب ،(ط1) 2008م.

9 محمد هيبي ، الأنا و الآخر في رواية موسم الهجرة إلى الشمال ، 16 أكتوبر 2010 ، ديوان العرب

10 محمد رشيد ، رواية "موسم الهجرة إلى الشمال " للطيب صالح ، 30نوفمبر 2010، ديوان العرب

11 محمد صابر عبيد ، السير الذاتية بين الكتابي والفوتوغرافي ، ضمن كتاب : ثقافة الصورة في الأدب والنقد ، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر ، دار مجدلاوي ، عمان -الأردن- ط(1) ،2008.

12 مرضية أباد -رسول بلاوي ، دلالات الألوان في شعر يحي السّماوي ،إضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الثالثة ،العدد الثامن 2012.

13 نادية خاوية ، الاشتغال السيميولوجي للألوان وأبعاد الظاهراتية ضمن محاضرات الملتقى الثالث ، السيمياء والنص الأدبي ، دار الهدى بسكرة ، الجزائر .

14 نبيل حمدي الشاهد ، بنية السرد في القصة القصيرة ، سليمان فياض – نموذجا ، مؤسسة الوراق ، عمان – الأردن ، (ط 1)، 2013.

15 عادل الفريحات ، النقد الأدبي والصورة الفنية البصرية ، ضمن كتاب ثقافة الصورة في الأدب والنقد مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر دار مجدلاوي عمان الأردن ط (1) ، 2008.

16 عبد الحق بالعابد ، العتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) ،تقديم : د. سعيد يقطين ، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم –ناشرون – الجزائر ط (01)، 2008.

17 عبد الناصر هلال ، الالتفات البصري من النص إلى الخطاب ، نادي الجوف الأدبي الثقافي ، الأردن ، ط(1) ، 2014.

18عبيدة صبطي : نجيب بخوش ، الدلالة والمعنى في الصورة ،دار الخلدونية لجزائر ط (1) ، 2009

19 علي جعفر العلاق ، الدّلالة المرئية (قراءات في شعرية القصيدة الحديثة)، دار الشروق الأردن ، (ط 1) ، 2002.

20 فارس مترى ظاهر ، الضوء واللون ، بحث علمي جمالي ، دار القلم ، بيروت (ط 1) ، 1989.

21 فاتن عبد الجبار جواد ، اللون لعبة سيميائية (بحث في تشكيل المعنى الشعري دار مجدلاوي ، الأردن ، ط (1) ، 2010.

22 صبيحة عودة زعرب ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، دار مجدلاوي عمان (ط 1) ، 2006

23 قدور عبد الله ثاني ، سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم) ، الوراق ، الأردن ،(ط1) ، 2008

24 خالد محمد غازي ، الطيب صالح ..سيرة وشهادات من محطات العمر ، دار الكتب المصرية ، الجيزة ، القاهرة ، 2015

ب – مذكرات التخرج :

1 الحاج بن علي ، تمظهر رات الآخر في الرواية العربية المغاربية ، بحث لنيل درجة الماجستير ، إشراف ، أ.د عبد القادر شرشار ، جامعة وهران ، 2009 ،2010

2 نصيرة لكحل ، شعرية العتبات في النص الموازي (مقاربة تحليلية لنماذج مغربية معاصرة) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي ،إشراف الدكتور لخضر بن السايح ، جامعة عمار الثليجي –الأغواط– ، 2016 /2017

3 سعاد عزيزي ، الأنا و الآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، إشراف :أ.د عبد القادر لصهب ، جامعة أبي بكر بلقايد ملحقة مغنية ، قسم اللغة و الأدب العربي ، 2015– 2016

ج – المجلات و المقالات :

1 الأخضر بن السايح ،"من المعنى الرؤيا" في الخطاب السردي المعاصر ، جامعة الأغواط ، مجلة الأثر ، ضمن أشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات و الرواية المنعقد بتاريخ 22-23 فيفري 2012.

2 جميل حمداوي ، السيميوطيقا و العنونة ، مجلة عالم الفكر ، العدد 03، المجلد 25، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت مارس 1997

3 جميل حمداوي ، صورة العنوان في الرواية العربية ، مجلة الكلمة ، مجلة أدبية فكرية شهرية ، العراق ، السنة الأولى ، العدد 2 ،فبراير 2007.

4 جميلة قيسمون ، الشّ خصيّ ة في القصّة ، مجلة العلوم الإنسانية ، قسم الأدب العربي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، العدد 6 ، 2006

5 حسام الدين دفع الله عبد الله ، العلاقات بين مضمون النص و عنوانه (نماذج من الرواية السودانية)، جامعة السودان التقنية ،كلية ود مدني التقنية –قسم اللغة العربية ، مجلد 19، (1) ، 2018

6 علي جعفر العلاق ، (شعرية الرواية) ، علامات في النقد ، المجلد 6 الجزء 23 ، 1997

7 ربيعة العربي ، الغيرية في الخطاب الروائي ، الطيب صالح نموذجا ، الأدب و الفن 2011/12/25

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

- الإهداء

- شكر و تقدير

- مقدمة .....(أ ب ج)

مدخل نظري

1. تعريف العنوان .....(9)

2. الاهتمام بالعنوان .....(10)

3. وظائف العنوان .....(13)

4. أهمية العنوان في الأعمال الروائية .....(14)

الفصل الأوّل : الغلاف الروائي / إشاراته الجمالية و حمولاته الدلالية

1 الصورة الفوتوغرافية و ازدواجية الرؤية ..... (18)

2 الفسيفساء و شذرات الماضي ..... (21)

3 التشكيل اللوني ..... (24)

4 اللعب بالصورة ..... (28)

5 جدلية الأحمر و الأسود ..... (34)

6 الغلاف الخلفي بين الدعاية و المكاشفة .....(39)

الفصل الثّاني : عتبات العنوان في الدلالات

1 التشكيل اللغوي ..... (43)

2 شعرية العنوان و مقتضيات السرد ..... (47)

3 الشخصية الروائية و جدلية العلاقة مع العنوان ..... (54)

4 رحلة العبور إلى الآخر ..... (61)

أ الآخر الغربي .....(62)

ب الآخر الشرقي .....(67)

5 رحلة العودة .....(69)

خاتمة ..... (76)

الملحق .....(78)

الملخص .....(82)

الملخص باللغة الفرنسية .....(85)

قائمة المصادر و المراجع .....(88)